تكنولوجيا الحب

إعداد: فريق مئة كاتب وكاتب

في سورية

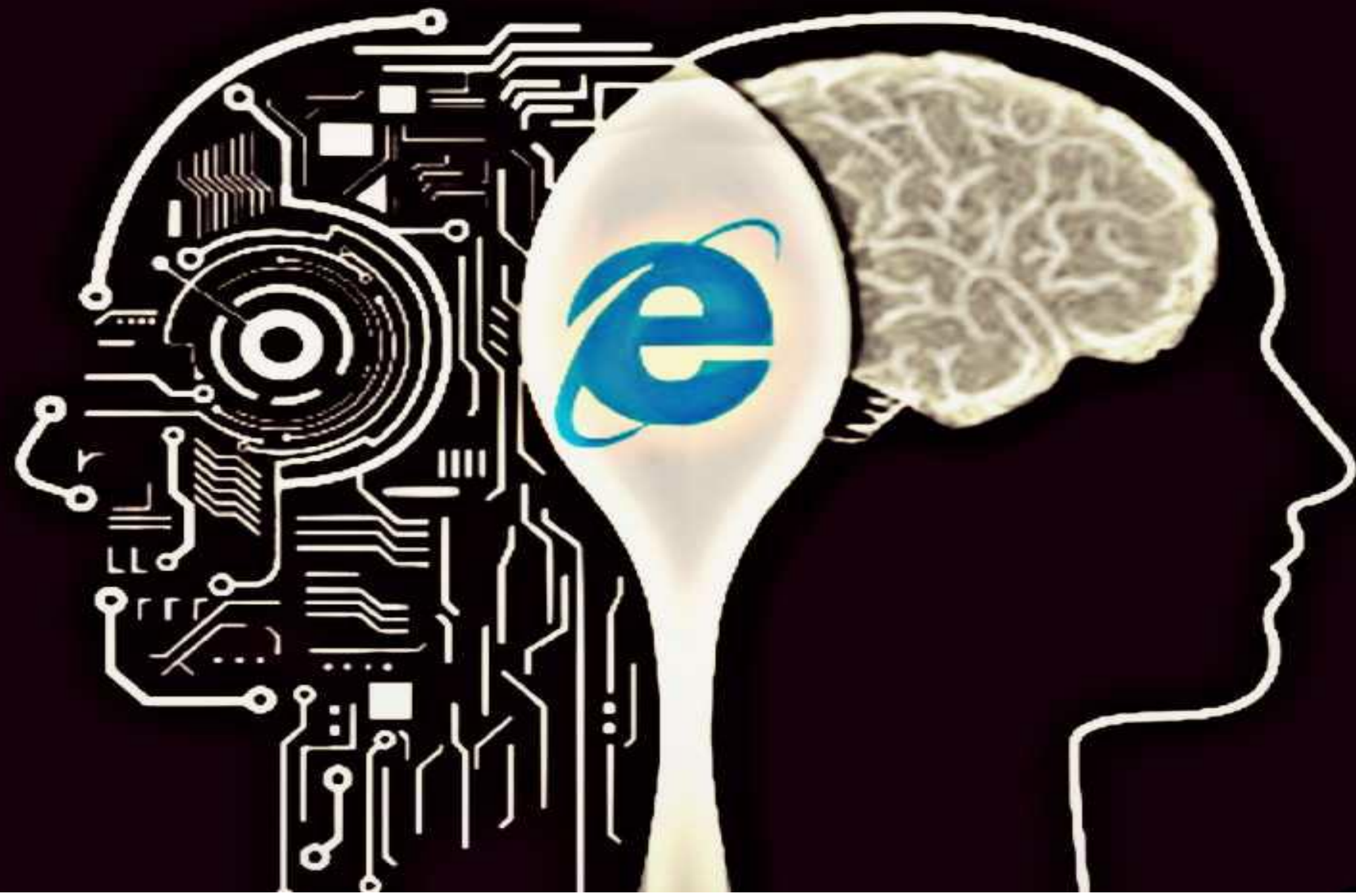

تكنولوجيا الحبّ

رواية

تأليف : *حسان بدور*

كتابة :

كارمن موسى ***ندى حمود***

شهد سلوم ***سلاف إبراهيم***

بتول وسوف ***نور هلال***

حسان بدور

فريق مئة كاتب وكاتب في سوريا (محافظة طرطوس)

شارك في الكتابة : *مروريد صقير*

تصميم الغلاف : *غدير علي*

الإهداء :

إلى كلّ من يملك الموهبة فيتحسّس الطريق ولا يجده، ويطرق الأبواب ولا يُفتح له، وينادي بأعلى صوته في مجتمع أصم، إليك صديقي المبدع أهديك كتابي وأقول لك : تشبّث بحلمك، اقرأ واكتب وعلّم نفسك بنفسك وابدأ، فنحن بدأنا...

ملاحظة : تمت كتابة هذا الكتاب في فترة الحجر الصحي وحظر التجول في سوريا بسبب انتشار جائحة كوفيد 19، أي أن جميع الكتّاب في هذا العمل لم يلتقوا على أرض الواقع ولم يناقشوا العمل وجهاً لوجه مما زاد في صعوبة التواصل و التنسيق والكتابة...

للتواصل :

بريد إلكتروني :

hassan.baddor123@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

تمهيد :

تخيّلتُ أنّي أعيش شبابي منذ ثلاثين سنة، وأنّني عرفتُ فتاتي في التسعينات أيام البساطة والحبّ الحقيقي، تخيّلت أن أقضي المساء أرنو إلى صورة يتيمة لكِ وأراها تشعّ كالقمر، وأعيد للمرة الألف قراءة رسالة غرامية منكِ مشبعة بعطركِ الجوري، تخيّلت أن أستلقي فجأة وأضمّ الرسالة إلى صدري وأفكّر فيكِ وأقضي ساعاتٍ وأنا أبحث عن غمازاتكِ وعن بقايا صوتكِ الرنان، تخيّلت أن أرسمكِ وأكتشف أنّ اللوحة لم تتسع إلا لعينيكِ وهما بمساحة الفضاء، تخيّلت أنني سأتذكر ضحكتكِ وأبتسم تلقائياً، وأتذكّر لمسة يديكِ وتشتعل جمرة في قلبي فيغلبني الشوق ويأسرني الحنين...

وفجأة قاطعني الواقع وبدّد تخيلاتي اللذيذة، وذكّرني أنّي أعيش في الألفية الثانية فطنّ هاتفي وأعلمني أنّك علّقتِ على أحد منشوراتي فذهبت وقرأت التعليق وقلتُ في نفسي : "لن أردّ الآن، لكي تظنّني مشغولاً مع إحداهنّ" ثم ذهبتُ إلى حسابكِ الشخصي وصرتُ أراقب تعليقات أصدقائك على صورتك، وصرتُ أقول : " من هذا، كيف يعلق لها هكذا؟

ومن هذا وكيف يناديها باسم الدلع؟ وذلك الأحمق كيف يرسل لها هكذا (إيموشن) ؟ "

وهكذا دبّت الغيرة في قلبي من لا شيء...

وعند المساء جلستُ أراقب آخر ظهور لكِ وأقول : "لن أتحدّث معها يجب أن تحدّثني هي، لقد كلّمتها البارحة" وتأتيني مشاعر غبية وأحاسيس مبهمة طوال الوقت وتجعلني أسيراً للهاتف وكئيباً بسبب اللاشيء، صدقيني يا عزيزتي الحب في هذه الأيام مزعج جداً ولا يُطاق، بل لا قيمة له ولا معنى، إننا في هذه الأيام مشغولون من كثرة الفراغ ومتخمون بالملل والحماقة، ومتيّمون بهواتفنا الذكية لا ببعضنا...

حسان بدور

الفصل الأول :

١

كتابة :
حسان بدور

كلّ ما نعبّر عنه ونعتقده هو نتيجة بذرة ضئيلة زُرعت في أعماقنا في الماضي السحيق فكبرت وصارت أشجاراً متوحشة، وكل ما يعتمل في نفوسنا من مشاعر جياشة هي نتيجة للشعور الأول بالأشياء الذي ولد قزماً وصار شيئاً فشيئاً عملاقاً، وما نظرتنا للأشياء -التي لا يُخامرها الشك- إلا نظرة من جهة واحدة تُبنى بحسب المبادئ الذاتية والخبرات القديمة، أدهشني الكون الخارجي الفسيح بنجومه ومجرّاته وأدهشني أكثر الكون الداخلي الذي يقبع في جوف كلّ منا فإذا هو بمساحة لا نهائية...

وهكذا قرّرتُ منذ نعومة أظافري أن أغوص عميقاً في محيط النفس البشرية ولا أخشى الغرق، فعرفتُ الإرادة نجماً بعيداً، والضمير بدراً غير مكتمل دائماً، والخيال كواكبَ لم تُكتشف بعد، والعقل شمساً تُنير كوننا اللانهائي إذا لم تتكاثر

عليها سُحب التراخي واللهو والشهوة، فمضيتُ في درب العمر الوعر أسترشد بالنجمة وأستضيء بالبدر غير المكتمل وأداري نفسي حتى تطلع الشمس وتتخلص من أعراض السحب...

اسمي روعة صالح درستُ علم النفس طويلاً، وأبحرتُ فيه حتى قادتني العواصف النفسية إلى جزر جديدة غير مكتشفة، وكنتُ أحضّر لرسالة الدكتوراة فقررتُ أن أعالج أثر التطور على البشر والتكنولوجيا على العلاقات البشرية، وبدأتُ أقوم بلقاءات كثيرة ومقابلات مطوّلة فاستمعتُ إلى الكثير من أخبار الناس واستمتعت بالكثير من القصص، وهذه بعضٌ منها...

كتابة :

ندى حمود

كارمن موسى

تنهشني الذكرى، أحكّ رأسي على الوسادة، فأشتعل كعود ثقاب، أمضي ليلتي ولا يطلع عليّ الفجر، إنما على وسادة، تحمل بقايا رماد، كل ما انتابني ويشتعل داخلي حدث في ذلك اليوم، والذي أدعوه باليوم المشؤوم، نعم يوم بائس لا يُنذر سوى بحظي العاثر .

لماذا خُلق الحبّ وحيداً ومكتوماً ؟! ولماذا كتب عليه أن يبقى حبيس قلب واحد ليذرف ألم الرفض والإهانة؟!

فعندما قابلتْ زميلتي جلنار اعترافي بحبّي لها بالرفض أكلت الحسرة صدري، وأصبح الغضب يُهدد شخصيتي التي أقل ما يُقال عنها أنها كانت متزنة ولا تُرفض بهذه السهولة.

لكني قلت بيني وبين نفسي لن أستسلم وسوف أحاول مراراً بكل الوسائل حتى أنال قلب تلك الفتاة الناعمة واللطيفة صاحبة الابتسامة البريئة والجمال الراقي .

وفي صباح يوم الأحد ومع بداية أسبوع مشرق وجميل بدأتُ إحدى محاولاتي الجديدة فلن أعترض طريقها بعد الآن

سأهرب من الواقع إلى الافتراض، أرسلتُ لها طلب صداقة على الفيس بوك ولأني زميل لها فقد قبلت طلبي، بدأتُ أراقب كل شيء يخصّها منشوراتها و تعليقاتها وأصدقاءها فاكتشفتُ أنها فتاة مزاجية تحبّ الموسيقا الغربية وتهوى متابعة الأفلام الهندية، فبادرتُ بتعليقاتي التي توحي بأنني أشاركها باهتماماتها برغم أنني أمقتُ بوليوود ولا أنجذب للأغاني الأجنبية...

مسنجر : الساعة 21 :

كتبتُ لها :

- مساء الخير ، كيف حالك جلنار ؟
- مساء النور ..الحمد لله .
- لاحظتُ أنّك تحبّين الموسيقا، ورأيت بعض منشوراتك الرائعة فوددتُ محادثتكِ...

- نعم صدقت، أحب الموسيقا والأفلام كثيراً، ويقول لي بعض الأصدقاء أنني ولدتُ في السينما...

- جميل جداً، رعاكِ الله وحفظك يا جلنار، هل لي أن أطرح عليكِ سؤال ؟

وهنا اعتقدت جلنار بأني نسيت أمر الإعجاب وأكلّمها كصديق وزميل فقط وبكل طيبتها أجابت:

- طبعاً، تفضل يا آدم .

وبكل جرأتي وبكل ما فيّ من غباء قلتُ لها:

- لماذا أنتِ جميلة لهذه الدرجة؟! لقد كنتُ أراقبك في الجامعة وأنتِ تضحكين مع زميلتكِ وبين أحضانك ينام كتابك المفضّل، وبصراحة رأيتُ كلّ ما يعجبك على الفيس بوك، وعرفتُ كل ما يستهويكِ، وسألتُ الجميع عنكِ وكلّهم أجمعوا على أنّكِ مميزة، لا أحد يشبهكِ.

- فقاطعتني جلنار وبكل كبريائها الذي أعشقه أجابتني:

- نعم أنا هكذا لا أشبه أحد، وشكراً لك على كلامك واهتمامك، هذا من لطفك يا زميلي آدم...

عندها بدأت أكتب وأحذف ما كتبته قبل الإرسال بتردد شديد فأرسلت لي جلنار :

- هلّا أسرعت بالكتابة لأنني مشغولة جداً !

- حسناً وبلا مقدمات، أنا معجب جداً بكِ ولم أستطع نسيانك، منذ أن رأيتك والليل يكاد يسرق النوم من عيني لكثرة تفكيري بكِ، أعلم بأني رُفضتُ بأولى محاولاتي لكن أرجوكِ أعطني فرصة ثانية لأدخل حياتكِ وأشاركِ نبض القلب، أريد أن أتقرّب منكِ وأن أحبّكِ لألف عام.

- أنتَ يا آدم قد التقطتَ عدوى الحبّ ذاتَ يومٍ وأنتَ تتسكع في أحد الشوارع غير المحصنة بوسائل قد تقيك ناره، وعلى خدّك وقمّةِ أنفك تسلّقت بضع ورود أعلنت للمارة تفشي العشق في قلبك، وأنا، أنا قد حصّنتُ قلبي منذُ البداية ووضعتُ أشواكاً على درب المارين، فقد تساقطت فيَّ جثثُ كلماتٍ لم أجرؤ على نطقها لأحد فماتت بداخلي، جثثٌ لمشاعرَ قد حاصرها البرود وقيدها، وأنت تتساقط في داخلك

شهبٌ من نوعٍ فريدٍ للغاية شهبٌ ليس لي حقُ امتلاكها، فأنت كالسماء وأنا كالمقبرة ثملةٌ برائحةِ الجثث مقبرةٌ تترنح على قدمين، عليك بنسياني، بنسياني للأبد.

- لكني أسيرك يا جلنار، أتخيلك تارةً عن يميني وتارةً عن شمالي تتراقصين كفراشةٍ بيضاء صغيرة حولي، وكلما حاولتُ إمساككِ كانَ طيفك يتلاشى...

- كفى يا آدم، دعك من الكلام وأرتق ثقوب غيابي بقطع من الكلماتِ القاسية...

وهذا كان آخر ما قالته لي جلنار وقبل أن تسمح لي بالاعتذار لها بعد تحطيم قلبي قامت بحظري نهائياً عن الفيس بوك والماسنجر لأنها لم تعد تحتمل عبء المناقشة معي حول هذا الموضوع، وفي الحقيقة لا ألومها رغم ضيقي لربما كانت تكتم قصة قديمة ومؤلمة سببت لها كلّ ذلك الحزن و جعلتها تغلق باب قلبها أمام كل زائر يريد التقرب منها ..

وهكذا باءت كل محاولاتي لكسب تلك الفتاة اللطيفة جلنار بالفشل، لا أدري من كان القاتل ومن الضحية لكن ما كنت على يقين به أنّ قلبي مات بعد ذلك الخذلان...

مرت شهور وسنين على قصتي تلك، ولم أستطع بعدها الدخول في أية علاقة جديدة لاعتقادي بأنني لن أجني سوى ثمار الرفض لأسباب أجهلها، وأصبحتُ أكثر اهتماماً وتركيزاً بدراستي وبناء مستقبلي فهممت بتحضير حلقات البحث و الغرق بين روتين الدوام والامتحانات وتمكنت من

التخرج من السنة الأخيرة في الهندسة المدنية بدرجة امتياز...

قمت بعدها بإنشاء مركز خاص بي للتدريب الهندسي لأنني كنت من كارهي الوظائف الحكومية والحصول على راتب قليل في آخر كل شهر...

بقيت على هذا الحال لسنوات، وكان عملي في أوج ازدهاره حتى حدث ما أعتبره بكارثة العالم فقد تفشى فيروس الكورونا وأصاب كل دول العالم فأفنى من أفنى وأرعب من أرعب، وكان لنا منه نصيب وعلى أثره تم تعطيل الجامعات والمدارس، وتوقيف العمل في القطاعين العام والخاص، وهكذا بتّ عاطلاً في منزلي مع قوانين حظر التجوال التي فرضتها الحكومة فلم يكن بوسعي سوى تمضية وقتي على الإنترنت علّني أجد منصات تعليمية أو مقاطع تزيد من خبرتي في مجال الهندسة، وفعلاً كانت تلك أولى خططي التي مارستها بحبّ، وكنتُ كلّ يوم أستيقظ باكراً أشرب قهوتي، أطالع قليلاً في بعض الكتب ثم أبدأ درسي على الشابكة، وبعد انتهائه أذهب إلى اليوتيوب لأستمع لبعض الأغاني، وفي أحد الأيام وبينما أتصفّح وردتني رسالة على هاتفي من أحد المجموعات على الواتساب حيث أنه كان فيديو على ما يبدو لفتاة تدعى ياسمين الشام فدخلت وشاهدت المقطع، كانت يحتوي على لوحة ترسمها الفتاة وتوضّح خطوات الرسمة وتختصر ساعات طويلة من العمل والرسم بدقائق قليلة من الشرح والتوضيح...

ومضت الأيام متتالية وأنا أراقب الفيديوهات التي ترسلها تلك الفتاة بشغف، وقد أثار دهشتي ذكاؤها الملحوظ وقدرتها الكبيرة على البث الإلكتروني عكسي تماماً، وإبداعها في الديكورات المنزلية والمكتبية...

كانت تنطق الحروف بلهجة محببة وتطرق أبواب رأسي فتهربُ نشوةً غريبةً، تاركةً شخصاً يرقد في فراشهِ ليعاني من هوس التفكير.

تملكُ حفرةً صغيرةً على خدها ويموج شعرها الطويل ليعانق خصرها، ويمتزج في عينيها لون البحر والسماء.

أقسمُ أنها تعرف لغة النجوم وأنها عقدت مع الشمس اتفاقاً سريّاً بألاّ تنهض إحداهما من سريرها حتى تفتح الأخرى قضبان جفنيها وتحرّر أشعةً من ذهب كانت قد أسرتها خلف القضبان طيلةَ ليلةٍ كاملة...

لقد كان هوس التفكير بها يطاردني على الدوام، وفي إحدى الليالي حين تجمّل الحظّ في وجهي رأيتها قد عرضت إعلان لوحةٍ للبيع سوف ترسمها لمن يرغب بذلك...

فوددت الحديث معها بحجة تلك اللوحة وكتبتُ لها:

- مرحباً آنسة ياسمين، أدعى آدم لاحظتُ الإعلان الذي قمتِ بنشره مؤخراً، فأنا أريد لوحة لمكتبي إن كان بالإمكان...
- أهلاً بك، بالطبع يسعدني ذلك .

أصابتني حينها فرحة أشبه بفرحة طفل صغير، وأجبتها على الفور :

- شكراً جزيلاً.
- هل أستطيع رؤية الحائط الذي ترغب بوضع اللوحة عليه من فضلك؟
- طبعاً، هل أرسله لكِ بصورة؟
- إنّي أفضل أن أرى كلّ الديكور والمكتب بفيديو...

وبعد ثوانٍ وردتني مكالمة صوتية منها عبر الواتساب :

- مرحباً سيد آدم، هلا أخبرتني بطبيعة عمل المكتب الذي تريد وضع لوحة به؟
- أهلاً سيدتي، أنا مهندسٌ مدني والمكتب يهتم بالتصاميم والمخططات المعمارية .
- رائع نحن زملاء إذاً، أنا خريجة هندسة معلوماتية .
- أمر غريب، ظننتُ أنّك خريجة فنون جميلة !
- لا، بل الرسم هوايتي التي لم تتخلَّ عني والتي أصبحت كل حياتي الآن، إذاً ما رأيك أن أتصل بك مكالمة فيديو عند السابعة مساءً لأرى المكتب جيداً ونقترح موضوع اللوحة....
- حسناً سأكون في انتظارك...

هنا أنهينا حديثنا وباتت الساعات كجندي أصيب في الحرب فيسير على خُطا بطيئة...

وهكذا جلستُ منتظراً حلول الساعة السابعة بفارغ الصبر لكن ومع توالي انتظاري كانت تنتابني عواصف فكرية ونبض غريب وبتُّ بدوامة الأسئلة التي تُسيطر عليّ : تُرى

ماذا سأقول لها ؟! كيف سأبدأ كلامي ؟! ماذا سأرتدي ؟! هل سيعجبها شكلي؟!

ثم تركتُ حيرتي جانباً حتى لا أقع في مأزق خجلي الدائم وارتباكي الواضح أكثر من ذلك، وذهبت لأرتب غرفة مكتبي التي سأضع فيها تلك اللوحة كما كانت حجتي!

عند السابعة ارتديتُ ملابسي الأنيقة وكأنني خارج لحضور حفلة ما، وصرتُ أراقب الساعة ثانية تلو الأخرى، ترى لماذا لم تتصل بعد فهي قالت لي بالسابعة تماماً؟

وفجأة بعد عشر دقائق من الانتظار المرهق اتصلت مكالمة فيديو فارتبكتُ ورحت أتصبب عرقاً وأنا الذي كنت قد ألقيت محاضرات أمام مئات من الطلاب ذات يوم، الآن متوتر!!

فتحتُ المكالمة وإذ بها تُطل عليّ من خلف الشاشة بسحر غريب بوجنتيها الورديتان وفستانها الوردي أيضاً، قالت:

- مساء الخير سيد آدم، عذراً تأخّرت عليك لكن هذا حال الكهرباء تبقى سبب تأخرنا في كثير من الأمور.

فأجبتها بابتسامة عريضة:

- مساء الورد آنسة ياسمين لا عليكِ .
- حسناً سيد آدم هل تريني المكتب والمكان الذي تريد وضع اللوحة فيه ؟

فأريتها كلّ ما طلبته، ومن ثم تناقشنا بأمور كثيرة حول اللوحة، وبعدها سألتها سؤال كان يلح عليّ كثيراً :

- آنسة ياسمين هل لديكِ حساب على الفيس بوك، بحثتُ عن اسم لكِ لكني لم أجد شيئاً؟!

فأجابتني بضحكة كادت أن تأخذ قلبي :

- ولن تجد يا سيد آدم، فأنا لا أحب الفيس بوك، وكلّ دراستي وفيديوهاتي التي أسجلها هي هنا على مجموعات الواتس والتيلغرام، واستخدمهم لسهولة التواصل مع زبائني، بصراحة لا أجد نفسي بين يدي العالم الأزرق أراه مزيفاً...

فأجبتها متعجباً:

- هذه أول فتاة موهوبة ورائعة لا أجد لديها حساب في الفيس بوك وتعتبره عالماً مزيفاً! أذهلني جوابك، على العموم بالتوفيق لكِ، يبدو أنكِ تحبّين ما تقومين به لدرجة عالية وثقتك بنفسك قوية.
- شكراً لك، بالفعل أحبُّ العمل في مجال الديكور والفنون التشكيلية منذ الصغر رغم أنه بعيد كُل البعد عن مجال دراستي، أخبرني كيف تمضي أيامك في هذا الحجر؟
- كما قلتُ لكِ سابقاً، أنا تخرّجتُ من كلية الهندسة المدنية واستطعت إنشاء مركز خاص بي للتدريب، والآن أبحث على الشابكة عن منصات تعليمية تزيد خبرتي في مجال دراستي، بالإضافة إلى أنني من متابعيك ودائماً ما أرى المقاطع التي تنشريها...

وهنا ابتسمت قليلاً وأجابتني:

- بالتوفيق لك سيدي، سأبدأ قريباً برسم اللوحة، تشرّفتُ بمعرفتك .
- حسناً آنستي، وأنا تشرّفتُ أكثر، أتمنى لكِ التوفيق.

أنهينا المكالمة وراودني الصمت، ومع ابتسامتها فاض قلبي وأيقنت أن الفرح سيبقى عقيماً ما لم ينجب ضحكاتها.

مضت الأيام وأنا أنتظر منها رسالة واحدة، لكنها لم تراسلني فوددتُ أن أرسل لها رسالة، كتبتُ لها :

- مرحباً آنستي، كيف حالك؟

وكان الرد أسرع مما توقعت :

- أهلاً سيدي الحمد لله بخير، كيف حالك أنت؟ توقّعت أن تكلّمني في وقت سابق لتسأل عن تفاصيل لوحتك لكن لما لم أرَ منك هذا الاهتمام؟
- كلا يا آنسة ياسمين، بالعكس انتظرت منك رسالة وأحرجت من أن أكلمك وأسبّب لك الإزعاج.
- لا، لا عن أي إزعاج تتحدث؟ سأكون فرحة باهتمامك على أيّ حال لوحتك أصبحت جاهزة تقريباً، سأرسلها لك بصورة.

هنا قد أرسلت الصورة وأثارت دهشتي من جمالها.

- شكراً لكِ أسعدتني كثيراً، لوحة رائعة ستزيّن مكتبي وخاصة أنّها صُنعت من تحتِ يديكِ.
- العفو سيدي سررت بكلامك، سأضيف عليها رتوشاً بسيطة ثم سأرسلها لك عندما ينتهي الحظر .
- حسناً ياسمين، سلمت يداكِ .

فلم تجب، ترى هل لأنني رفعتُ الكلفة فجأة ولم أسبق اسمها بلفظ آنسة؟

هنا ظننت أنها قد ختمت الحديث ولم تعد تريد الحديث معي وأن حلمي الوردي قد أصابته غيمة سوداء...

لكن في اليوم التالي ومع استيقاظي تفاجأت برسالة منها حملت صورة لأحد رسوماتها مع جملة :

- أريد رأيك من فضلك.

نهضتُ من سريري مذهولاً وأجبتها:

- يا للروعة كم أنها جميلة، إنني أسعدُ جداً برؤية لوحاتك.
- شكراً لكَ علمتُ ذلك، لهذا أحببت أن أرسلها لك.
- الآن يُقال عن صباحي أنه صباح الخير !

اكتفت ياسمين بإرسال (ايموشن) ضاحك، فأرسلتُ لها :

- أنا من محبي القراءة، وقد قرأت البارحة مقولةً أثارت انتباهي أتودين الاطلاع عليها؟
- بالطبع، بالطبع.
- في عتمة الليل إذا مررت سهواً أسفل رفٍّ يحوي رسائل قديمة فلا تدع غبار الذكريات يدخل إلى عينيك فتدمعان بحجة الحنين.
- يا لها من مقولة جميلة! هل تشعر بالحنين لأحد يا صديقي؟

حينها تنهّدت قبل الردّ عليها وأرسلت إليها :

- أشعر بالحنين لنفسي القديمة، لذكرياتٍ انطوت في دفتر النسيان.
- لنفسك أم لأحد؟
- ربما اشتقتُ لفتاةٍ مضت في طريقٍ بعيد!

لم تعلّق على جملتي الأخيرة وكتبت:

- قرأت منذُ فترة خاطرة أعجبتني أتود الاطلاع عليها؟
- طبعاً أريد.
- كعجوزٍ أرمل

أراجعُ قصتنا يومياً
كيف أقحمتُ نفسي في ذلك المأزق؟
وكيف بلغت ذروة الحب ونشوته؟
وكيفَ خُطِف مني قلبي على حين غرةٍ؟
عندما كنتُ منشغلاً بالغرق في عينيك
واليوم
أدينُ للماضي بنظرةِ ثقة
أحملُ عكازي الذي ليسَ يركع
وأمضي للقاء حتفي
فخوراً
بأنني لم أجبن أمام عينيك يوماً
لم أهرب كما فعلت
وأنَّ الحبَّ كالموت
إن لم يرهبني الأول
فليسَ للثاني سطوةٌ عليّ.

- كم هي رائعة ومعبّرة !

- إنّ الشوق حليف الذكريات الموجعة وكلاهما على علاقة قوية مع الآخر، إياك أن تسترجع الماضي وقِفـه في وجه حتفك مبتسماً ناسياً ما قد مضى، والخيار لك.
- كم أنك جميلة وعظيمة يا ياسمين !
- بالمناسبة ياسمين هو لقبي الفني وليس اسمي الحقيقي...

أكملنا حديثنا لساعاتٍ طويلةٍ دون ملل مضى الكثير من الوقت وأنا أمسك هاتفي على غير عادتي، وتغمرني الابتسامات .

مضت الأيام مسرعةً بتعارفنا الجديد فأصبحتُ يومياً أرسل لها ما قد قرأت وهي ترسل لي لوحاتها، تعرّفنا بسرعة من غير حواجز وكأننا نعرف بعضنا منذ سنوات.

كانت عندما تتكلم يهمس لي نجم في السماء قائلاً: "اجمع صوتها في حقيبتك أنت أحق من الهواء بتلك الموجات".

بعد حوالي الشهر قررتُ أن أعترف لها بحبّي فاستجمعت شجاعتي وكتبتُ لها:

- تعالي نتّفق على أن نأخذَ صوراً للحزن، ونضعَ كلَّاً منها في إطارٍ خشبيّ ملفوفٍ بعروقٍ من الياسمين، وأن أحملَكِ على كتفيّ كي تعلّقيها على حائطِ الماضي وننساها هناكَ إلى الأبد.

أنتِ من قبَّلتها الملائكة في مهدها وطبعتْ على خدَّيها ملجأً خبّئيني هناكَ في تلكَ الحفرةِ الصّغيرة في خدك، شرط أن تبتسمي دوماً كي لا أسقطَ من مهجعي اللطيف ذاك...

فاكتفت بأن ترد عليّ بقولها :

- إياك أن تُفلت يديَّ حينما تهمس أحبك، فأنا أخشى على نفسي أن أطير.

حينها فقط بدأنا رحلتنا الغرامية بدأت أساهر القمر من خلفِ شاشة صغيرة.

فاض فؤادي بها حُباً، وهي كالزهرة الربيعية كان الفرح يغمرها على الدوام، وصار يوم لقائنا هو يوم المنى...

بعد شهرين انتهى الحجر الصحي في البلاد واتفقتُ مع ياسمين على اللقاء في أحد الحدائق في غضون أسبوع...

بعد يومين من اتفاقنا حدث خطب ما في هاتفي المحمول حيث أصيب بفيروس ما والذي حذف بيانات الهاتف وأرجعه إلى ضبط المصنع...

بقيتُ يومين لم أتحدّث بهما مع ياسمين، حاولتُ كثيراً أن أتذكّر رقمها لكن باءت محاولاتي بالفشل، حاولتُ أن أستعيد بياناتي السابقة بشتى الطرق ولكن كل هذا كان عن عبث، قد اشتقت إليها كثيراً وانتظرت طويلاً لحظة حديثي معها، انتظرت طويلاً أن تراسلني لكن لم يحدث هذا لسبب مجهول...

مضت أيام وأيام ولم أتلقَ رسالة واحدةً تخمد النار التي تشبُّ في قلبي، أيعقل أن تنتهي قصتنا العظيمة بهذه الطريقة التافهة ؟؟

آلاف الأسئلة دارت في مخيلتي...

مشيتُ في شوارع المدينة وتخيّلتُ أن ألقاها ويا للخيال الغريب...

جلستُ ساعات في تلك الحديقة الملعونة ولكنها لم تأتِ...

ذهبتُ إلى بلدتها وإلى كلية الفنون الجميلة وكلية الهندسة وسألتُ عنها كثيراً ويا ليتني لم أسأل...

لقد اختفتْ ياسمين الشام كما اختفى الياسمين من دمشق أيام الأزمة والحرب، اختفت ياسمينتي وكأنّها لم توجد في الواقع بل على تطبيق الواتس أب فقط!!!

هكذا انتهت رحلتي الغرامية قبل أن تبدأ، وبرغم قصر التجربة فقد أثرت فيّ لسنوات...

بعد خمس سنوات تعرّفتُ على فتاة جميلة أعجبتني كثيراً فتزوجتها ورزقني الله منها بطفلة...

وفي أحد الأيام بينما نتجول أنا وصغيرتي وزوجتي في شوارع دمشق مررنا بجانب معرض فني وكان مكتوب على أحد الإعلانات "ياسمين الشام"، أيعقل ذلك؟ أيعقل أن تكون هيَ؟ مئات الأسئلة راودتني في تلك اللحظة، طلبتُ من زوجتي لياً الدخول معي لنرى اللوحات، واستغربت زوجتي من اهتمامي المفاجئ بالدخول إلى هذا المعرض بالتحديد!

دخلنا وقد تملّكني الخوف والأمل وبدأت ذاكرتي باسترجاع الذكريات تدريجياً مع كل لوحة أراها أتذكر صوتها فيتراقص فؤادي شوقاً وأملاً، وزوجتي تنظر إليّ بدهشة.

وبعد مرور دقائق قليلة شاء القدر أن ألتقيها، شاهدت فتاة تتجول في المعرض، تعرض لوحاتها على الزوار وتشرح

عنها، كنتُ على يقين بأنها ياسمين، ما زالت كما هي بشعرها المموّج ووجنتيها الورديتان وابتسامتها الساحرة...

اقتربتْ مني ورحّبت بي قائلة:

- أهلاً وسهلاً، أنا ياسمين الشام، اسمي الحقيقي كارول العاصي، هذا هو معرضي الأول والذي يضمّ عدداً كبيراً من لوحاتي، ولكن لحظة يا سيدي، هل أعرفك؟ هل التقينا سابقاً ؟

عندها لم أجبها بل ابتسمتُ ابتسامة عريضة فقط، فقالت بذهول:

- ألستَ السيد آدم؟
- هو بعينه، دعيني أعرّفك على زوجتي ليا وابنتي ديانا .
- تشرّفت بكم جميعاً، عفواً يا سيد آدم، مع أنّ القصة قديمة جداً ولكنني لم أفهم لماذا اختفيتَ هكذا؟ طلبتَ مني اللوحة ولم تحضر لأخذها؟
- للأسف تعطّل هاتفي في تلك الفترة وفقدت جميع البيانات ومنها رقمك، انتظرتُ طويلاً أن تكلّميني من أجل اللوحة ولكنكِ لم تبالي ولم تتصلي أبداً ؟!

ضحكت ياسمين بصوتٍ عالٍ وهزّت رأسها مذهولة وقالت:

- يا لها من صدفة غريبة، في تلك الفترة نسيتُ موبايلي في إحدى (التكاسي) وحاولتُ كثيراً أن أتصل بالسائق وأستعيد الهاتف أو البيانات التي عليه على الأقل دون جدوى، بكل الأحوال لوحتك ما زالت موجودة كذكرى عندي وهي معروضة هناك ولكنها ليست للبيع .

أشارت إلى اللوحة بابتسامة، وفي تلك اللحظات اقترب رجل طويل منا وقال لياسمين:

- أما زلتِ منشغلة يا زوجتي الحبيبة، تعالي قليلاً فابننا آدم يحتاجك الآن .
- حسناً ثواني قليلة فقط وآتي، سررتُ بلقائك يا سيد آدم، أما عن اللوحة فأرجو أن تتقبلها مني كهدية بسيطة .

إذاً هكذا انتهت ملحمتي الإلكترونية، فأخذتُ اللوحة وقلتُ في نفسي :

- أنتِ أكثر وفاءً مني يا كارول العزيزة .

الفصل الثاني :

1

كتابة :

شهد سلوم

هل تفضّلين الحب العصري الإلكتروني أم الحب التقليدي يا سالي؟

هه حب إلكتروني**!** في الحقيقة، كنت أهوى الورود الحمراء الداكنة منذ نعومة أظافري وتستهويني الأصابع المتشابكة التي تُشعل الدفء في أوج الزمهرير، كبرتُ وكبر عشقي للأغاني الفرنسية ذات اللحن الرومانسي، كنتُ أستمع إليها فأقفز تارة للمستقبل البعيد وأتخيّل تفاصيل فارس أحلامي، وتارة أخرى يأخذني خيالي لصرّة الذكريات التي لطالما حدثتني والدتي عنها .

أصبحتُ في كل ليلة أقرأ الرسائل التي أرسلها والدي لوالدتي منذ زمن سحيق، أتمعّن بالحروف المرسومة بدقة على الأوراق فأستشعر نبضها، وأحدّقُ بالمناديل المزخرفة فأدهش بالتطريز المحترف على قطع القماش الملون حيث كانت والدتي فنانة بالتطريز، تُبدع بكل شيء

وخاصة تجسيد مشاعرها، تعلّمتُ منها الكثير بدايةً بتطريز القماش، ونهاية بتطريز المشاعر المتحركة في الحياة.

كان والديّ نموذجاً لقصص العشق الخرافية لكن قصتهما كانت حقيقية، فلم أتخيل يوماً إلّا أن أعيش قصة حبّ تضاهي على قصتهما بالعشق والجنون، تخيّلتُ أن أنتظر فارس أحلامي عند النافذة ليأتي ويفرش بساط الفكاهة، ويغازلني بإحدى القصائد الدرويشية فتحمرّ وجنتيّ خجلاً ويكسب المعركة إلى يوم جديد، ثم أفاجئه بعدها بالتطريز المتقن على إحدى المناديل فيحلّ التعادل بيننا، وتغمرنا سحابة الضحك الهستيرية.

كانت أحلامي واسعة جداً وسع مستقبل مليء بأحداث غير متوقعة، لكن الحياة تطورت كثيراً وتعقّدت أبسط الأشياء فدخلت لعنة التكنولوجيا عالمنا ودثرت عالم أحلامي، فوجدتُ نفسي أغوص في دوامة الواقع على أعتاب الحقيقة، فدفنتُ أحلامي في هوّة الماضي واستسلمتُ للحاضر.

حيث حلّت الرسائل الإلكترونية التي تشبه بعضها مكان الرسائل الورقية ذات الخطّ اليدويّ المُحمّل برائحة العطر الباريسي، أما القصائد الدرويشية فأصبحت فيديوهات مسجلة نحمّلها من الإنترنت ونرسلها بضغطة زر .

قلّت اللقاءات وكثرت الاتصالات، لا شيء ملموس يذكّر بتفاصيل المحبوب، نعيش في عالم وهمي أصبحت فيه العلاقات لعبة والحب تسلية وتجارة المشاعر هواية، فطغت المثالية المطلقة وانتهت الأحاديث المنمّقة إلى حضن المبادئ المزيفة ...

إذاً أخبرني يا سامي كيف انتهت علاقتكما برغم ذاك الحبّ الجارف ؟

في ذلك اليوم جلستُ في غرفتي طيلة النهار بين أربعة جدران وكنت الخامس بينهم، أكاد أنفجر من الغضب لا أتذكر أنني تناولتُ شيئاً منذ الصباح لكنني أنهيت علبتين من السجائر، لأن والديّ لم يوافقا على فكرتي بالسفر، ورفض أبي أن يبيع السيارة ليدفع لي تكاليف الدراسة في الخارج، تساءلتُ طيلة النهار لماذا يقفون سوراً مُسيّجاً حول دائرة أحلامي الصغيرة؟

في تلك الليلة لم أكلّم أحداً أياً كان، وكانت تستفزّني أصغر التفاصيل وتغضبني، ولمّا رأيتُ حبيبتي سالي أضافت صديقي سالم إلى أصدقائها على صفحتها الفيسبوكية ثار البركان بداخلي وأحرقتُ بغفلة كلّ شيء، فاتصلتُ بها وقلتُ بصوتٍ عالي والحمم تخرج من رأسي:

- لماذا وافقتِ على طلب صداقة سالم؟ لقد حذّرتك مراراً من التحدّث مع الشبان .

تفاجأت سالى من اتصالى فى منتصف الليل لشيء تافه كهذا، وهي التي قضت طيلة النهار تتصل بي وترسل عشرات الرسائل لتطمئن عليّ وأنا أتجاهلها، كان يبدو أنّ الغضب وصل معها إلى أوج لحظاته، فأجابت بنبرة صوت غريبة لم أعهدها سابقاً:

- أولاً اخفض صوتكَ وكُفّ عن الصراخ، وثانياً أنت معقدٌ يا سامي ولا تثق بأحد، لقد مللتُ من تحمّل عُقدكَ ونقصكَ، وأن تدّعي المثالية وتريدُ الكمالَ فيّ!

- مهلاً، مهلاً ألا تملكين ذرّةَ حياء؟ تبعثرين صوركِ هنا وهناك، وتستمتعين بتعليقات الشبان: ساحرة، ورائعة، وملكة جمال، وتريدين مني أن أقف صامتاً وأبقى مكتوف الأيدي؟!

قاطعتني بعصبية:

- يا لكَ من ساذج حقاً، لا أصدّقُ أنّكَ تتكلمُ هكذا وكنتَ تدّعي أنّك الشاب المنفتح والمفعم بالحياة، أما زلتَ تحلم بالسفر؟ كيف ستتعايش مع تلك المجتمعات؟ كيف ستتأقلم معهم آه؟! هه يا لكَ من منافق، مثلك مثل أيّ شاب شرقي مراهق يجد في مشاعر الفتاة تسلية له ولإرواء هيف مشاعره السخيفة هذا إذا كان يملك مشاعرَ...
- اصمتي يا سالي أنتِ فتاة متمردة ولا تناسبني...

قاطعتني بصوت عالي:

- ألا تريد أن تعرف لماذا أضفتُ سالم؟ لأنني أتّصل بك وأكلّمك منذ الصباح وأنت لا تجيب، قلقتُ عليكَ وصرت أسألُ كلّ معارفك عنك، وأنت ماذا تفعل؟ تتصل بي بعد منتصف الليل لتثير مشكلة تافهة وتُظهر لي مدى غبائك وتفاهة تفكيرك!!
- نعم هذا صحيح، أنا غبي ولا أستحقك، أنا متخلف وأنتِ متحضرة، أنا متعصب وأنتِ متحررة، ولذلك سوف أنهي علاقتنا في هذه اللحظة، وأتمنى ألا أراكِ أو أسمع صوتك بعد الآن .
- غبي...

كسرتُ المزهرية المجاورة لسريري من فرط الغضب
وخرجتُ إلى الشرفة غير آبه بالزجاج المتناثر على السجادة،
أخذتُ أنفثُ آخر سيجارة في العلبة لعلّي ألقي بأفكاري
وذكرياتي مع هذه الفتاة في هوة وأدثرها أسفل القاع، وتخيّلت
أن سالي دثرت بجسدها الممشوق تحت الغطاء وهي تكلّم
نفسها بغضب تخالطه سحابة حزن أنثوية، وتحاول قدر
الإمكان ألا تبكي وما إن يبدأ العدّ التنازلي حتى تنفجر
دموعها وتتساقط كشلالات، كيف أحبّت معقّداً مثلي وألفت
مفسد مشاعر يتظاهر بالمثالية ويظهر في النهاية كالشيخ
المؤمن ليعلّمها المبادئ ويلقي عليها المواعظ والحكم ، لكنّي
لا أريد أن أذكرها بعد الآن ولا يهمني ما تفكر به وما تقوله
من حماقات ...

الحزن الذي ينجم عن حب عميق ليس سهلاً، فهو لا يأتي
من الفراغ، بل من الندب التي خلّفتها جذور الحب عندما
اقتلعت بقسوة، أخبريني يا سالي كيف استطعتِ أن تتجاهلي
سامي بعد كل ذلك؟

حسناً، لقد أدخل صديقتي سارة لتصلّح الأمور بيننا
كالعادة لكنني لم أعد قادرة على الاحتمال أكثر من ذلك

كتبت لي سارة على الواتس اب :

- لا أصدق يا سالي، أيُعقل أن يفعل سامي هذا؟ ألا
تستطيعان التمسك بوميض الأمل؟ أنتما قصة حب
خُلقتْ في فضاء شاسع وكبرت كمجرة لتحمل بعدد
النجوم أحلام !

- كل هذا كلام لا فائدة منه ضربهُ الأستاذ سامي بعرض الحائط، و الآن لا مجرات ولا كواكب، كنا جرم صغير وقد انفجر...
- لكنه يستطيع أن يولد من جديد أليس كذلك؟!
- هه ليس بعد الآن، شجارنا الأخير كان نهاية كل شيء، لم يعد لسامي وجود عندي، ولم تعد المجرة مجرة ولا الفضاء فضاء، كلنا انتهينا وغرقنا في دوامة العدم.
- ما الذي أسمعه؟ إنه لشيء لا يصدّق، أنتما اللذان أبهرتما كلية أدب الإنكليزي بحبكما، أنتما من جعلتما للحب قدسية تتخطى كل شيء وكنتما منارة تُشع بالحب.

أجبتها بكل برود:

- أنتِ قلتِ هذا، كنا وكل هذا كان ماضي وسيبقى في الماضي ولن أسامحه أبداً، بل أصبحتُ أكرهه...

هذا هو الحب يجمّل كلّ شيءٍ في البداية باحتراف شديد حيث يوهم كلّ شخص الآخر بحبّه اللاحدودي، وعناقه لسحابة الحب الروحانية قبل الجسدية لتكبر فقاعة الكذب وتتدحرج ككرة ثلج عملاقة تبتلع كل ما تصادفه، بينما تختبئ العيوب وسط مسرح الحياة حتى تنفجر الفقاعة فجأة بوخزة إبرة على شكل مشكلة سطحية.

فإن مسرح الحياة صعب جداً وخاصة إذا تفرشه بساط الحب.

لكن صدقيني يا دكتورة مهما كان الحب قريباً قد ينهار، ومهما كان بعيداً قد يُبنى.

ولّى شهر كامل على انفصالي أنا وسامي، بطلا قصة الحبّ التي شاع صيتها في كلية الآداب، وأصبحنا إذا ما التقينا صدفة يتظاهر كل منّا بعدم ملاحظةِ وجودِ الآخر...

ما أصعب أن نصبح غرباء بعد أن حفظنا أدق التفاصيل!

٢

هل استطعتَ أن تنسى سالي بسرعة؟ وكيف فعلت ذلك؟

في البداية تعذّبتُ كثيراً وعجزتُ عن نسيانها، حتى حدث معي أمر جعلني أنساها وأنسى كل فتيات البلد، كنتُ جالساً على شرفة غرفتي، وكان الطقس بارداً لكنني تناولت كأساً من النبيذ، جرعة ممتازة كانت قد دلفت في أعماقي وولّدت الكثير من الدفء، كان منظر الأفق لحظتها جميل جداً يذكرني بالمستقبل الواسع الذي ينتظرني في بلد مجهول ، فتحتُ صفحتي الفيسبوكية وإذ بطلب صداقة من فتاة شقراء غاية في الجمال ذات عينين خضراوين، ترتدي ثوباً بنفسجياً ضيقاً يُبرز تفاصيل جسدها الممشوق، دخلتُ مندهشاً لأكتشف صفحتها وأنا أتناول الجرعة الأخيرة من النبيذ، وكانت صدمة مفرحة للغاية، الفتاة بريطانية مقيمة في روما، باغتتني السعادة وحملتني الأحلام فوق جناحيها فتخيّلتُ بلحظة أنّها ستحبّ سماري وتعشق لحيتي، ولمَ لا؟

وافقتُ على طلب الصداقة واندفعت حالاً إلى المسنجر وكتبتُ بالإنكليزية:

- مرحباً

أجابتني بالإنكليزية طبعاً:

- أهلا صديقي!

فركتُ عينيّ بغبطة وقرصتُ يديّ لأتأكد أنني لست في حُلم وكتبتُ لها بغباوة:

- أنا شاب عربي، استغربتُ من طلب الصداقة من فتاة أجنبية؟
- أووووه يا إلهي كم أعشق العرب! هل تتكلّم الإنكليزية مثلي؟!
- نعم أدرس أدب إنكليزي، يا لهذا الانسجام! أنتِ بريطانية تعشقين العرب وأنا عربي أعشق بريطانيا!
- نعم، إنني آمل أن أزور ولو بلداً عربياً واحداً! من أي بلد أنت؟

فكتبتُ مبتسماً:

- من سوريا، ولكنني شاب منفتح، تستطيعين أن تقولي أنني شرقي متطور ومفعم بالحياة، أعشق السفر وطالما أحببتُ روما.
- أوه شاب شرقي منفتح! إنه لأمر رائع حقاً! لربما عانيتَ كثيراً حتى وصلت إلى هذا الحد وتغلبتَ على العادات البالية والتخلّف ؟

كنتُ أكتبُ لها وأتخيل أنّ السمكة علقت في الصنارة، فخسرتُ الطعم وربحتُ السمكة...

إذاً فضّلتَ الحلم على الواقع والمصلحة على المبادئ؟

نعم، هذا ما حصل، لا أريد أن أكذب مجدداً، تطوّرت علاقتي بالفتاة البريطانية وأصبحنا نتبادل الأحاديث المطولة،

تحدّثني بالإنكليزية عن بريطانية وروما، وأحدّثها عن تفاصيل سوريا وآلام الحرب!

علّمتها بعض الكلمات العربية التي غمرت أعماقها بالسعادة، كانت فتاة ذكية وراقية جداً، وكنتُ ماكراً _أو هكذا ظننت_ أعرف كيف أجذبها بكلمات الغزل وقصص الحب التي أخترعها لأغريها وأضعفها أمام مملكتي، ولم يمرّ شهر على هذه الحال حتى أغرمت بي، وأخذت لي ملاذاً في قلبها تلجأ إليه في أوج ضعفها ونقصها .

بعد يوم طويل وشاق في الكلية وبعد أن حلّ المساء استلقيت على السرير، فتحت المسنجر ودخلت إلى المحادثة، كتبتُ لها:

- أتعلمين يا فانيلا أحبكِ جداً، قضيتُ يومي بطوله أفكّر بكِ.

أرسلتْ (إيموجي) ضاحك وكتبت:

- ولماذا فانيلا يا عزيزي؟ ألا يعجبك اسمي "آنا" ؟

يبدو أنني سأغيره عمّا قريب من أجلك!

- لا يا فانيلتي، يعجبني كل شيء فيكِ يا حلوتي، لكنكِ بيضاء وأنتِ وأحاديثك لذيذة كالفانيلا! ألا يعجبك الاسم يا سُكرتي؟
- آه لا إنه رائع يا بطلي، أحبكَ كثيراً.
- أنتِ ملاكٌ سماوي بهيئة بشر، أتعلمين هذه المعلومة يا فانيلا إنني لم أرَ أجمل منكِ ومن عينيكِ الخضراوين في حياتي.

- لماذا تحبني كل هذا الحب يا سامي؟!

قهقهت بسبب سؤالها الغريب وأجبتها:

- ألا تعرفين أغنية

Love dosen't ask why)?!)

لهذا أنا

I Love you

I love you too baby. -

إذاً تأثرتِ لأنّه عشق فتاة أخرى أكثر مما تأثرتِ لأنه تركلكِ؟

نعم، أعتقد ذلك، أصبحت في الآونة الأخيرة منعزلة عن الجميع، تغيّبتُ كثيراً عن الجامعة، تركتُ خط هاتفي مُغلق وكرهتُ كل ما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي بشدة، ما يُزعجني أنّه استبدل حباً امتدّ لثلاث سنوات من فتاة تعشقه بحبٍّ امتد ثلاث ساعات من فتاة تسخر منه وتكذب عليه، أصبحت أتساءل لم أنا؟ لماذا يحدث معي كل هذا؟ أتعلمين؟ كنتُ أحلم منذ طفولتي بقصّة حبّ مختلفة لأنني مختلفة، كان حلمي بسيطاً جداً، كنتُ سأرضى برسالة ورقية لا تحمل زراً للحذف، أتشمّم عطرها وأمدُّ أصابعي وأتحسس الكلمات المكتوبة داخلها بحبر حقيقي وخط يدوي، كنتُ سأرضى بها حتى لو كان الخطّ غير مفهوم والحبر داكن والكتابة فوضوية غير مزخرفة، لا تعلمين كم هويت أن أظلّ أنا وحبيبي نتبادل

الرسائل والهمسات والنظرات من خلف الأبواب ووراء الستائر، لكن ما الذي حصلت عليه في النهاية؟ شاب طائش ومحادثات واتس ليلية ...

إضافة إلى جرعة زائدة من الغضب والحزن كل ليلة، وبعد كل هذا يعشق بعد أسبوع من انفصالنا فتاة بريطانية؟ اللعنة عليه وعليها!

لقد تخلّى عن مبادئه فجأة وبكلّ بساطة لأنّها أجنبية، لا تزعجه صورها بملابس البحر، لا يزعجه الشبان الكثر الذين تتصوّر معهم وتقبّلهم أيضاً لأنّها ستساعده بالسفر وستؤمّن له حياته ومستقبله، هكذا نحن في الشرق نرتدي المبادئ حين تكون في صالحنا ونخلعها ببساطة عندما تعارض مصالحنا!

ولكنني لم أقف عنده أبداً، إنه مجرد محطة عابرة، سحابة صيفية لا تصد شعاع الشمس، لطالما آمنتُ أن الطرق المعبدة بالأمل هي إحدى طرق الله، وأن الكلمات التي يكتبها القدر بقلم الحياة لم تُخلق لها ممحاة...

وكيف انتهت علاقتك بالفانيلا، أقصد بآنا؟

اقتربتُ من تحقيقِ حلمي وجعلت آنا تتعلق بي، اخترعت آلاف القصص التي كنتُ بطلها وجعلتها تتأكد أنني ذلك الفتى التي تبحث عنه منذ زمن...

مسنجر :

- كم أنتَ رائع يا سامي، هناك الكثير من الأيام القادمة يجب أن نستغلها، سنعمل سوية في الشركة حيث أعمل وستشتري سيارة وبيتاً وتصبح حياتك رائعة.
- ستكون رائعة لأنّك ستكونين معي، آه يا فانيلا أنتِ أجمل صدفة في حياتي بل أنتِ حياتي كلها، أحبكِ يا سُكرتي إنني أنتظر لحظة لقائك بفارغ الصبر.
- وسأكون أنتظرك يا بطلي في المطار وسنتعانق عناقاً طويلاً جداً ودافئ.
- لكن ماهي الإجراءات للإقامة في روما؟
- سأتكلّف بكلّ شيء لكن أريد منك ألف دولار لكي أجهز بعض الأمور...

صُعِقتُ عندما سمعت هذا من أين لي بمثل هذا المبلغ الكبير لكنني لم أشعرها بشيء من هذا وكتبت:

- حسناً سأحاول أن أحصل عليه بأقرب فترة ممكنة.
- أحبكَ يا بطلي.
- وأنا يا فانيلا.

تلغرام :

كتب لي سامي وأرسل (إيموجي) ضاحك:

- ما هذا يا رجل لم أعرفكَ وأنتَ بريطاني وتغازل فتيات أجنبية إن كلية الآداب تليقُ بكَ يا رجل!
- كُف عن مزاحكَ يا سالم الأمر جدي.

- الأمر ماذا؟! يبدو أنّكَ لم تفرش لها قائمة مبادئك لكانت حظرتك من زمن!

وأرسل (إيموجي) ضاحك مرة ثانية.

- ما بك يا مغفل إنني تعلّقت بها حقاً لكن لأنها ستساعدني فقط في أمور العمل والإقامة وطبعاً لن أتزوجها يا غبي!

تفاجأ سالم بكلامي وكتب :

- مهلاً، مهلاً إقامة وعمل ماذا؟!

كتبت ببرود :

- سأسافر إلى روما
- ماذا؟؟؟!!!
- كما قلت لك سأسافر لكن أريد منكَ خدمة لن أنساها، وأعدكَ أنني سأردها لكَ أضعافاً عندما أستلم العمل.
- خدمة ماذا يا سامي تكلّم!!

قلت بعد أن ترددت لبضع ثواني :

- إنه دين، أريد خمسمئة ألف ليرة سأبيع حاسبي المحمول أيضاً، وأريد هذا المبلغ أقسم بالله دين وسأرده لكَ بأقرب فرصة!
- أنت مجنون؟ أستسافر حقاً؟
- إذا كنت لا تريد أن تقرضني المال لا مشكلة سأتدبر أمري!

- المال ليس مشكلة، لكن أظن أنّك ثمل، أيعقل أنّك ستسافر إلى روما وراء فتاة بريطانية لا تعرف عنها شيئاً؟؟

انتابني الغضب من كلامه فكتبت :

- سالم سأذهب للعمل، وليس وراء الفتاة افهمني أرجوك.
- وماذا إن كانت تكذب عليك مثلاً؟!
- اسمع يا سالم سأغامر ولن أتراجع، شغفي السفر ثم السفر ومن ثم السفر، على أية حال لن أسمع منك المواعظ والحكم قل لي ستقرضني المال أم لا؟
- كما تود يا سامي، أتمنى لك التوفيق، لكن أرجوك انتبه على نفسك.

كانت الساعة الخامسة مساءً، جلستُ في الحديقة المجاورة لمنزلي والتي أعشق تفاصيلها، أشعلتُ سيجارة وبدأت أتخيل مستقبلي الجديد بعيداً عن هذه الأماكن التي تركت أجزاء منها في داخلي، بعيداً عن المقهى والكلية والحديقة، سأذهب إلى مجتمع يختلف عن مجتمعي عادات وتقاليد روما باختصار تنتظرني، فتحت صفحتي الفيسبوكية بحثت عن صفحة آنا لكي أخبرها أنني أرسلت المبلغ المالي، لكن لا أصدق؟! لقد اختفى الحساب! بحثتُ عن اسمها مرة، اثنان، ثلاثة لكن لم أجده!

أصابني دوار مفاجئ واسترجعت دوامة الأحداث في الفترة الأخيرة، كل شيء حدث فجأة واختفى فجأة، كيف لم أنتبه أنني اتصلتُ بها مكالمة فيديو أكثر من مرة ولم تُجب؟ كيف لم أشكّ أبداً؟

ارتعشتُ وأصابتني القشعريرة، وقفت لكي أذهب إلى المنزل لكن خانتني قواي وسقطت على المقعد أشعر بالغثيان

آنا، روما، السفر، الإقامة، المبلغ المالي، كلّ هذا لا شيء ذهب هباء منثوراً، وأنا في أوج الصدمة أصابتني هستيريا جنونية صرختُ بأعلى صوتي وأخفتُ بعض المارة...

كل هذا غير منطقي، عدتُ إلى المنزل وأنا أترنّح كأنني ثمل جسدي في عالم وعقلي يبحث في عالم آخر، لم أتخيل للحظة أن آنا كانت تسخر مني كل هذه الفترة...

سرقتْ المال بهذه البساطة واختفت، ضحكتُ من نفسي من سذاجتي، إنني غبي بالفعل كما كانت تقول لي سالي...

وصلتُ إلى المنزل وطرقتُ الباب بقوة، فتحتْ أمي وكادت تجن للحالة التي أنا فيها، لكنني لم أسمع شيء لا توبيخ أمي ولا محاضرات أبي، دخلتُ إلى غرفتي، أظنّ أنّني بقيتُ يومين أو ثلاثة خارج هذا العالم، لا أجيب على الاتصالات لا أفتح الباب لوالديّ، لا أفعل شيئاً سوى استحضار الماضي القريب بأدق بتفاصيله وأصغر ندبه ، وكم تذكّرتُ سالي! يبدو أنني ما زلت أحبّها! إنني أعترف الآن بأنها فتاة مرهفة مليئة بالتفاصيل الصغيرة، كانت تحبّني جداً، أتذكّر آنا وأضربُ جبيني بقبضة يدي ويا لهذا الفرق الشاسع بين آنا وسالي، ويا لحماقتي كيف سمحتُ لنفسي بمقارنتهما؟

آخر مرة سمعتُ بها أخبار سالي كانت من صديقتنا سارة التي أخبرتني أنّ سالي مُنهكة كئيبة لا تتكلّم مع أحد، وتتغيب كثيراً عن الجامعة، كنت السبب في إفساد قلب بريء بسبب حماقتي، إنني معقد ومغفل لم أحاول أن أكلّمها حتى، أفسدتُ

أجمل شيء بسبب اللا شيء، والآن أندم على ماذا؟ على كل شيء!

لكن فجأة قاطع حديثي الذاتي نغمة هاتفي المحمول وضعته صامت وتابعت الحوم حول دائرة أحزاني لكن لفتني الاسم، لحظة من؟....

نعم إنّها سالي، يا لهذه الصدفة المفرحة، فتحتُ السماعة وسمعت صوتها الذي لم أسمعه منذ أشهر، كان بذات النعومة، لم تكن غاضبة ولا منفعلة تتكلم بهدوء وسحابة الحزن الأنثوية تقترب منها، لكن هذه المرة تطردها بقوة وتصمد، قالت:

- أتعلم يا سامي الآن علمت أنك لم تستحق ذرة من المشاعر التي حملتها في داخلي تجاهكَ أضعتُ سنوات من حياتي وأنا أتحمّلك لأنني أحبك، احتملتُ كلّ شيء من أجل الحبّ، وماذا حصل في النهاية تركتني لأنك لم تكن تحبّني؟! ومن أجل من؟ آنا؟ أو فانيلا هذا مناسب أكثر...

قاطعتها بصوت مُحمل بالأسف، ويدور في عقلي سؤال واحد، كيف عرفت بقصة الفانيلا؟ قلتُ لها:

- ليس الأمر هكذا.....

لكنها قاطعتني ببرود:

- لا أريد مبررات يا سامي لم أتصل لكي أشمت بك ولا لأسمعك بل لكي تسمعني، لا تظنّ أنني طماعة وأنانية مثلك، الحياة تحتاج لعقل وليس لقلب لكن في الحب

القلب يطغى على كل الأفكار، وهنا لا مجال إلا للمجازفة، أتعلم ما يكدر القلب؟ هو قسوة الفراق وتلك اللسعة التي لا تزول، على أي حال أصبح المبلغ في حسابك المصرفي، كنتُ أحاول أن أثبت لنفسي ولكَ أنّك مجرد أناني متعجرف...

وهنا صُعِقتُ، كانت مفاجأة سارّة ومُحزنة، أن تكون آنا هي سالي، أي أنني كل هذه الفترة كنت أُكلم سالي وآنا غير موجودة!!

عشت تلك الفترة كلّها في كتلة من الأوهام الإلكترونية؟ وإشعارات الحبّ المزيفة!

حاولتُ أن أنطق ولو كلمة لكنّ لساني كان ثقيلاً وقلبي ممزقاً وعقلي غارق في دوامة العدم...

على أيّة حال لم تكن تنتظر مني جواب ولم تسمح لي بالتكلم فقالت منهية حديثها:

- هذه المرة أنا التي أتمنى ألا أراكَ مجدداً...

الفصل الثالث :

١

كتابة :

بتول وسوف

سلاف ابراهيم

الحب ترابطٌ كاملٌ ما بين العقل والقلب، انشغال الحواس والأحاسيس بكل ما يتعلق بك، "أنا أحبك" لا تعني إطلاقاً لحظة شاعرية أو بلوغ نشوة السعادة الكاملة.

"أحبك" تعني أن أهيم بكل تفاصيلك المشوقة منها وأكثرها مللاً، أن أرى سلبياتك المزعجة كمالاً لشخصيتك الفريدة، أن تجعل قلبي ينبض بطريقة غريبة ، بطريقة من شأنها أن تداعب أفنان روحي فتطيّر عصافيرها إلى دنياك ، هكذا كنت، هكذا كنّا ..

إنّ الحب أسمى من التعريف ، أعظم من أن تحدّد مفهومه الحروف الثمانية والعشرين، وإنّ ما نقوم به ما هوَ إلا تشبيه بسيط له وليس تعريفه !

أنتَ يا عزيزي ، في عقلي دوماً ، تعشعش في ثنايا روحي المتيمة بك ، أصبح "حبّك" سبب سعادتي، هنائي، وفرحتي، إني أرى فيكَ شخصاً عظيماً ، أراك كاملاً رغم عيوبك، عشقْتُ كآبتك قبل ابتسامتك ، كنتَ الزميل فالصديق فالحبيب فالزوج ، همت بتفاصيلك كلّها ، من عينيك الصغيرة، إلى أنفك الكبير نوعاً ما ، ثم ضحكتك اللثويّة ، كانَ حبّنا حبّاً فريداً من نوعه ، الثقة عنوانه ، والأمان والاحتواء الممزوج بالحب مضمونه ، لكنّ سفينة الحبّ هذه لم تبقَ على هذه الحالة ، فعاصفة مللٍ هزّتها ورسَت بها على شاطئ غريب ..

زوجي رؤوف كعادته يجالس التلفاز في كل ليلة وحيداً، رغم محاولاتي العديد لمقاومة التعب والجلوس بجواره كما كنّا، ولكن آدم -هديّة السماء لي- يشغل وقتي كاملاً، كنت مستلقية بجانبه أتأمل ملامحه البريئة، وأمسحُ على رأسه الصغير ، مُدخِلةً أناملي بين خصلات شعره المموجة ، وفي تلك اللحظات أرمق هذا الملاك النائم بنظرات مفعمة بالحب، بنظرات أمّ تراقب طفلها كيف يكبر يوماً بعد يوم ، لقد منحتني الدنيا إيّاه لِتُفرح قلبي الأنثوي العاشق للأمومة ، إنّه برعم حبّنا الصغير ، وفرحتنا الأولى !

لقد نال منّي التعب كالعادة بعد يومٍ تشغل فترته الصباحية وظيفة في إحدى الشركات الخاصة إلى حدّ الظهيرة ، وبعدها تبدأ الرحلة المنزلية حيث نجتمع فيها ثلاثتنا سوية على مائدة

الغداء ، وبعدها ننتقل إلى الجزء الأكثر مللاً فرؤوف ينام بعد الظهر ويتركني مع ابني الوحيد ، وعند حلول الساعة الثامنة من كل يوم، أدخل مع آدم وأغني له أغاني الأطفال حتى ينام ، أنهي أعمالي المنزلية من تنظيفات وإعداد طعام الغداء لليوم التالي على مدار ساعتين تقريباً وأحياناً أكثر، وأخيراً أخلد إلى النوم تعبة مجهدة ، أما رؤوف يسهر وحيداً ، لأنّي ما أن أضع رأسي على وسادتي أغرق في النوم حتى الصباح التالي ..

علاقتنا مبنيّة منذ البداية على الحب المتبادل ، إنه حبّي الأول الذي دقّ شغاف قلبي فرقص مع أنغامه ، لكنّ مللاً رهيباً حلّ ضيفاً على هذه العلاقة الصادقة، روتين يومي يتكرر ويتكرر ، اللحظات نفسها تعاد دون زيادة أو نقصان، إنه فعلاً قاتل العلاقات الصامت !

قاطع الهدوء المُخيّم على غُرفة الجلوس صوت الإشعارات الخارج من الهاتف المحمول لرؤوف، إنهُ إشعارٌ من موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" طلب صداقة باسم شام عبد الحق، عرض الملف الشخصي، من دمشق وتقيم فيها أيضاً، العمر ثمانية وعشرون عاماً، "لطيف"، تم قبول طلب الصداقة...

أعاد رؤوف هاتفه إلى مكانه وعاد إلى التنقل بين محطات التلفاز بحثاً عن أيّ شيء مثير قد يجذب انتباهه لمتابعة سهرته المملة تلك، بينما سرقني النوم بغتة من نفسي وأخذني إلى عالم الأحلام وأنا مستلقية بجانب آدم .

في صباح اليوم التالي استيقظتُ وتفاجأت أنني أنام بغرفة آدم فمضيت إلى رؤوف وأيقظته قائلة :

- صباح الخير حبيبي .

ردّ رؤوف بامتعاض دون النظر إليّ:

- صباح الخير!

- ما بك؟!

- إن كنتِ قد لاحظتي فالبارحة ككثيرٍ من الأيام السابقة قد بقيتُ جالساً وحدي طوال المساء، وعندما قررت الخلود إلى النوم اكتشفت عدم وجودك في غرفتنا وبقاءك إلى جانب آدم طوال الليل، ألم تنتبهي إلى قلّة اهتمامك بعلاقتنا مؤخراً؟!

- معك حق، أعتذر منك حقاً، ولكن كما ترى أنا منشغلة بالعمل والبيت وبآدم دائماً!

وقف وهو يهز رأسه باستهزاء وقال وهو يمشي:

- حسناً، أنا سأمضي إلى العمل، أتمنى لكِ نهاراً سعيداً برفقة أعمالك وانشغالاتك التي لا تنتهي!!

بعدها اغتسل ولبس ثيابه بتعجّل، ثم خرج غاضباً وقد رفض تناول الإفطار معي!

كالعادة إنّه الروتين اليوميّ، المشاكل الصباحية التي تزيد الفجوة بيننا مع كل يوم ، فيسيطر الملل بشكل كامل على علاقتنا .

عند عودة رؤوف وقت الغداء لم ينطق بأي كلمة، تناول طعامه على عجل ودخل الغرفة لأخذ قسط من الراحة، بينما

قمتُ بالأعمال المنزلية المعتادة باكراً ثم جلست لألاعب آدم قليلاً.

رنّة رسالة من تطبيق المسنجر كانت كافيةً ليفتحَ رؤوف عينيه قبل أن يغلبها النوم .

شام عبد الحق

أنتم أصدقاء على الفيسبوك

- مرحباً .

ارتجفَ قلبُ رؤوف، لم يكنْ معتاداً على محادثة الفتيات فهو رجل خجول بطبعه إلا أن نزعة الرّجال للخيانة وضعفهم تجاه الجنس اللطيف قد غلبوه فأجاب بلا تردد :

- أهلاً بكِ!

- كيف الحال ؟

لكنّ زوجي الجدّي الفظّ أحياناً ، لم يتقبّل سؤالها فأجاب :

- هل أعرفك ؟!

- عذراً ، لقد لفتتني صورة ملفك الشخصي ، وانتابني شعور غريب إزاءها ، قلت ربّما كنّا على معرفة سابقة أو شيء كهذا!

- لا شكّ أنّكِ مخطئة !

- لا تتسرع ، لطالما التقى شخصان صدفة ومضى كلّ منهما في حال سبيله...

لاحظ رؤوف أنّه يتبسّم لسبب مجهول فكتب مجيباً:

- ربما !

- ما رأيك أن نتعرف أكثر لعلّنا نكتشف مكان لقائنا الأول؟

أعتقدُ أن ما دارَ في رأسه خلال تلك اللحظات هو شريط حياتنا في آخر فترة ، حياة تضج بالمهاترات ، ملل رهيب ، الحاجة لمعرفة أشخاص جدد أو للحب ، فشرّع لنفسه هذه الفرصة ...

- حسناً ، لكن نحن أصدقاء ، لأخبرك منذ البداية .

- ومن قال غير ذلك؟ أتظنّني فتاة إنترنت سخيفة ، هل هذا المكتوب دوماً لأصحاب القلوب الطيبة ؟! الظن العاطل !

- لم أقصد إهانتك أو جرحك ، إنني متزوج وهذا كل ما في الأمر.

- صداقتنا لن تؤثر على زواجك أبداً .

- هل أنت متزوجة ؟!

- لا .

ابتسم وقال محدّثاً نفسه :

- ذلك أفضل لكِ !

الغريقُ يستنجد بقشّة وهذه كانت حالة رؤوف ، كان متعطشاً للاهتمام الذي فقده منذ مدة !

ثم كتب للفتاة الغريبة المتطفلة :

- حسناً لنتعارف إذاً، درستُ الاقتصاد ، وأنا الآن موظف في إحدى الشركات ، أسكن في طرطوس مع زوجتي وابني.

ذكره لتلك المعلومات كان عادياً ، فأي شخص يدخل إلى حسابه الشخصي على فيسبوك سيعرفها حتماً .

- هل سبق أن زرت دمشق؟

- نعم ، منذ بضعة أعوام عند تأديتي لخدمة العلم .

- ربما التقينا حينها !

- من المعقول...

واستمرّ حديثهما لساعة ، تبادلا خلالها الأفكار، تعرفا أكثر على بعضهما ، حتّى دخلْتُ فجأة إلى غرفتنا فرأيت ضوءً منبعثاً من هاتفه المحمول، فقلتُ متفاجئة :

- رؤوف ، ألم تنم بعد ؟

أخفاه بسرعة كأنه خشي شيئاً والتفت إليّ قائلاً بنبرة صوت مترددة توحي بارتباكه :

- بلى ، لكنني استيقظتُ منذ حين وتصفّحت الإنترنت .

- سأسبقك إلى غرفة الجلوس ، لقد أعددت القهوة لكلانا .

- سآتي حالاً .

كالعادة التي دخلت على حياتنا مؤخراً، صمتٌ يحتلُّ جميع جلساتنا أنا ورؤوف، وكمحاولةٍ منّي لكسر الحاجز الذي يكبر يوماً بعد يوم بيننا، عقدت العزم على إعادة الحياة من جديد لعلاقتنا فقلت :

- إذاً كيف كان يومك يا عزيزي؟

قال بعد أن شرب رشفةً من قهوته ورمقني بنظرة استغراب:

- جيّد، لا جديد الروتين نفسه كل يوم، تدقيق بعض عمليات البيع والشراء، وتحضير القوائم للجرد في نهاية الأسبوع، وأنتِ؟

- كان نهاراً متعباً ، حضرْتُ ثلاثة اجتماعات متتالية، لقد دخلت الشركة بمناقصة كبيرة وعلينا الإعداد جيداً للعروض التي سنطرحها..

- جيّد بالتوفيق إذاً !

- شكراً يا عزيزي...

كنتُ أسأل نفسي "كيف أكسر النمطية القاتلة؟ كيف أسأله أسئلة غير تقليدية؟ كيف أحرّك مياه المشاعر الراكدة في بركة الروتين؟" وطبعاً لم أجد جواباً شافياً، أما رؤوف فكان يبدو عليه الارتباك كما لو أنّه يخفي أمراً، فأنا أعرفه من أيام الجامعة وأحفظه عن ظهر قلب ، لقد درسنا سويةً في كلية الاقتصاد في جامعة طرطوس، وكان يكبرني بسنتين، كان كاسمه رؤوفاً، حنوناً، لطيفاً، على الرغم من أن غضبه كان مدمّراً إذا غضب، وكنتُ أنا كما وصفني دائماً "الفتاة الحالمة الطموحة"، كنّا منسجمين جداً نفهم بعضنا من نظرةٍ واحدة دون الحاجة للكلام، فلم يكن من الصعب عليّ الآن أن أكتشف أن هناك ما يشغل تفكيره ويحاول إخفاءه عنّي، لكنّي قررت ألا أتسرع في حكمي وأن أترك الأمور تجري على سجيتها...

في اليوم التالي حاولت إنهاء أعمال المنزل باكراً بينما كان آدم يشاهد برامج الأطفال لعلّي أستطيع أن أمضي هذه السهرة مع رؤوف، وهذا ما حدث ...

فعند المساء أعددت كوبين من الشاي، أحضرت بعض الفاكهة وجلست على (الصوفا) المجاورة لرؤوف، لقد كان شارد الذهن كثير النظر إلى شاشة هاتفه، حاولت أن أفتح أحاديث عديدة لكن دون جدوى كانت إجاباته مختصرة كمن يحاول التهرب من الحديث، فقررت أخيراً أن أنسحب من الموقف فقلت له :

- حسناً يا عزيزي لقد نال التعب مني سأخلد إلى النوم، أتريد شيئاً مني قبل أن أذهب؟
- لا شكراً، تصبحين علي خير.
- وأنت بخير...

دخلتُ إلى غرفتنا ولم أستطع النوم، لم تكن أحوال رؤوف هذه الأيام تعجبني، التقطت هاتفي وبدأت أتصفّح منشورات الفيسبوك...

بينما كان رؤوف في غرفة الجلوس ينتظر رسالة من تلك الفتاة الغريبة "شام عبد الحق" وكان لانتظاره جدوى حيث طنّ هاتفه برسالة منها :

- مساء الخير .
- أهلاً وسهلاً .
- كيف حالك ؟
- بخير، أين كنتِ مختفية اليوم ؟

واستمر حديثهما حتى الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، كانت شام غريبة حقاً ، حيث أنّ رؤوف شعر كما أنهما يعرفان بعضهما منذ مدة طويلة وليس من البارحة ، دخولها المفاجئ هذا على حياته كسر نوعاً ما الملل الروتيني لحياته، وجعله ينتظر شيئاً ما، شيئاً جديداً...

بعد عدّة أيام جلستُ بجانب رؤوف عند المساء ، كان يمسك هاتفه المحمول بيده وكأنه ينتظر أمراً ، كان الصمت رهيباً كالعادة لذا حاولت كسره بالاقتراب منه مازحة ثم قلت له وأنا أضحك :

- أرني عمّا تبحث !؟

لكنه انتفض قائلاً :

- لا شيء لا شيء ، تعرفين أنني لا أحبّ هكذا مزاح، ما رأيك أن تحضري الشاي ؟!

لهجته كانت غريبة حقّاً فأومأت إيجاباً وخرجت بصمت ..

بعد دقائق عدْت مع الشاي ودخلْت الغرفة وأنا أغني لعلّي أبعث المرح في الجوّ فقال بفظاظة :

- آدم نائم أليس كذلك ؟!

لم أكترث لسؤاله وتابعت الغناء، وبينما كنت أضع الأكواب على الطاولة سقط إحداها على الأرض وانكسر، فصرخَ بصوته الخشن بغضب غير مبرر:

- ما بكِ ؟! أين عقلك ؟!

- يفكّر أين عقلكَ أنت !؟

- نعم !! لم أفهم ماذا تريدين؟

- لمَ أنت غاضب طوال الوقت؟! أخبرني لنتساعد ونحلّ الأمر.

- أنا على طبيعتي ، لكن انظري إلى نفسك يا آنسة!

- ماذا تقصد ؟

ردّ بغضب مهول وصراخ عارم :

- أقصد أنّك لست شغف التي تزوّجتها، أنتِ تعجزين عن التوفيق بين بيتك ووظيفتك وزوجك، وسواس النظافة يأخذ كلّ وقتك، وهمّ طبخة الغداء يجثم فوق قلبك، حوّلتي ابننا لحاجز يحول بيني وبينك فيسرقك مني، أنتِ لم تنسيني فقط بل نسيتِ نفسك أيضاً، أخبريني متى آخر مرة رسمتِ أو كتبتِ أو ضحكتِ كما كنتِ تفعلين؟ وتسألينني لماذا أنا غاضب دائماً؟ أتريدينني أن أبتسم للجدران وأضحك مع التلفاز وأتحدث مع هذه الطاولة ؟

ترى هل كان حقاً غاضباً من كلّ هذه التفاصيل وتلك الرتابة في حياتنا أم أنّه يصرخ لأن شام لم تكلّمه ولم تردّ على رسائله منذ عدة أيام ؟

اقتربتُ من رؤوف فأنا أدري تماماً أنّ حلّ هذه المشاجرة هو عناق لطيف، إلا أنّه أبعدني عنه بطريقة قاسية، وكأنه لا يريد حلاً لهذه المشكلة عديمة السبب ...

اغرورقت عيناي بالدموع ، بعد تصرفه ذاك وخرجت مسرعةً نحو غرفتي ...

جلستُ وحيدة محتضنة وسادتي، وبدأت أواسي نفسي:

- شغف .. هذا هو الحب، الحب أحجية، أحجية لا تكتمل، دائماً ما ينقصها أمر يفتعل المشاكل ، لكنني أحببتك يا رؤوف وفنيت عمري لأجل هذا الحب ، أنت سعادتي وحزني ، أنت مصدر أملي وألمي ..

عندها فكرتُ بمتابعة خطتي التي كنتُ قد ألغيتها مؤخراً، فكرتُ أن أرجع عشر سنين للوراء أن أرجع الفتاة الحالمة التي تنشر المرح والضحك في كل مكان، التي تضفي طابعاً خاصاً من الجمال على أي شيء تلمسه، فذهبت مسرعة وأحضرت بطاقة خطي الجديد وأدخلته في موبايلي ، بعد أن تأكدت من أنني أغلقت الباب بإحكام، وتحولتُ في لحظة واحدة إلى شام عبد الحق الصبية الرقيقة ذات اللهجة الشامية المحببة والشعر الأشقر الطويل الملفت للنظر...

بدأت أقرأ الرسائل الواردة من رؤوف على المسنجر :

- شام، كيف حالك ؟
- بماذا أنت مشغولة ؟!
- أين أنت شام؟ هل أنتِ بخير ؟
- يبدو أنّك مشغولة هذه الفترة، لقد اشتقت إليك !
- حادثيني عندما تسمح لكِ الفرصة يا صديقتي .

ضحكت وقلت لنفسي:

- هكذا أنتم يا معشر الرجال ، تشتاق إليها إلكترونياً ، وتدفعها واقعياً ، إنكم فعلاً تحتاجون لمئات السنين لتفهموا عقل الأنثى، لأرى عملي الآن ...

مسنجر: الساعة 20:38

- رؤوف ، أعتذر جداً انشغلتُ ببعض الأمور ، لكنني الآن بخير، وأنت؟"

وفي نفس اللحظة أجاب رؤوف :

- لا عليكِ، أنا بخير ربّما، منزعج من مشاكلي مع زوجتي .
- ما رأيك أن أرسل لكَ رقمي، فتتصل بي وتخرج كل ما في قلبك لصديقتك الغريبة ؟
- حسناً، أتمنى ذلك .
- 093.....

وبعد دقيقتين رنّ موبايلي، لقد كان رقم رؤوف...

رددتُ عليه بلهجة شامية وبصوت أقرب للهمس :

- آلو ، رؤوف ؟
- أجل .
- هل أنت بخير ؟! قلقت عليك!
- لا لا ، إنها مجرد مشاكل روتينية مع زوجتي .
- عليكَ أن تتحلى بالصبر، فكما أخبرتني أنّها حبّ عمرك وأم ولدك الوحيد .

أجاب بصوت حزين :

- قسوت عليها، وهي لا تستحق كل هذه القسوة!
- لعلّه الملل والضجر، أليس كذلك ؟

- لقد اشتقت لشغف القديمة المفعمة بالحيوية ، أشعر أنني أعيش مع ظلّها، مع جثة هامدة لها تتجول في أنحاء المنزل ولا روح لها.

- أنت تبالغ يا صديقي، المرأة كالوردة، إذا ذبلت تحتاج الماء لتحيا وكذلك المرأة تحتاج إلى المشاعر لتستعيد نضارتها وألقها، فكّر بطريقة أخرى، اذهب الآن واحضنها وأخبرها أنك تحبّها ولكنك متوتر قليلاً بسبب ضغط العمل، أخبرها ذلك وراقب عبيرها كيف سيفوح ويُعطر كلّ الأجواء.

ابتسم رؤوف ابتسامة عريضة وقال:

- كيف أستطيع أن أشكرك؟ كنتُ بحاجة ماسة لهذا الكلام.

- تشكرني عندما تكون سعيداً وعندما تُقدّر زوجتك وتشعر بها وتُحبّها .

بعد انتهاء المكالمة تملّكت رؤوف مشاعر الدهشة والاستغراب أكثر وأكثر حيال شام، تفهّمها له كما لو أنه مرّ على معرفتهما أعوامٌ وأعوام، وصوتها، لم يكن ذلك الصوت غريباً أبداً، تلك التنهيدة اللطيفة، وذلك الصوت الحنون، من المستحيل أن يكون قد أخطأ لقد سمعه من قبل، لكن أين؟! وماذا عن الضحكة؟ إنّ الضحكة لا تتغيّر حتى لو غيرنا صوتنا أو لهجتنا !

يومها وضعتُ موبايلي جانباً وأسرعت إلى تصنّع النوم بينما دخل رؤوف بهدوء ووقف على رأس الغرفة وصار

يرنو إليّ بصمت وأنا أمثّل دور النائمة ثم قال بصوتٍ هادئ وكأنّه واثق أنني أسمعه :

- معك حق، أنا أيضاً مخطئ، لم أستطع تقدير تعبك ولم أحاول مساعدتك بل صرتُ أنتقد وأغضب فقط، أنا أحبك، أحبك حقاً وأعشق كل تفاصيلك !

كنتُ أستمع إليه دون أي حركة أو أي ردّ فعل فتابع قائلاً :

- ستجيبين أم أذهب وأتصل بشام عبد الحق وأخبرها أنني أحبّها ؟

لحظتها عجزت عن مقاومة ابتسامتي فابتسمتُ وفتحت عينيّ ورأيت رؤوف يقف متكتفاً ويبتسم، فنظرنا لبعضنا قليلاً ثم ضحكنا بقوة، بعدها اقترب رؤوف وعانقني وقبّلني، اعتذرنا من بعضنا واعترفنا بإهمالنا وقضينا ليلة أنس وودّ من أجمل الليالي...

في اليوم التالي تغيّر كلّ شيء، شعرتُ أننا عدنا إلى أيام الخطبة أو شهر العسل فصرنا نبتسم بلا سبب ونراقب بعضنا بحبّ ونضحك من أصغر الأمور، في ذلك اليوم حمل رؤوف باقة ورد وأهداني إياها بعد عودته من العمل، وساعدني في توضيب الصحون بعد انتهائه من الغداء ثم حمل آدم ونام قيلولة الظهر بجانبه وبعدها رتب سريره على غير عادته، وفي المساء اختصرنا الوقت فبينما كنتُ أحضّر طعام الغداء كان رؤوف يحاول تعليم آدم أسماء الأرقام وبعض الكلمات الإنكليزية، سرقتُ نظرة من عينيه وكانتا تلتمعان بشدة كما أول يوم التقينا فيه، هذا هو الحبّ يا عزيزي لا نعرف كيف ومتى يطرق باب القلب، تكون هوية

الطارق مجهولة، يدفعنا نحوه بتبعية مطلقة، فنهيم في تفاصيله، ونجهل سرّ التعلق به...

الحبّ يا عزيزي يحتاج كلّ فترة تجديداً وتأكيداً، يحتاج رتوشاً صغيرة تجعله يلتمع مجدداً ويتألق ويتخلص من كلّ الشوائب والشحوب التي ترافقه مع تقدم الزمن، إنّه الحبّ يا رؤوف من جعل أعظم مشاكلنا، لم تعد كذلك...

الفصل الرابع :

1

كتابة :

شهد سلوم

نور هلال

حسان بدور

ليت الحياة تكون كما نراها على التلفاز أو كما صورها لنا بعض المخرجين في أفلامهم ومسلسلاتهم، فلقد كانت حياتي أسوأ من أن أكون قادراً على العيش فيها، خسرتُ والديّ عندما كنتُ في سنّ الثامنة عشر، لم تكن قد مرّت سوى بضع ساعات على صدور نتائج الشهادة الثانوية بمعدل جعلني أثقُ أنني على مشارف الحلم، سوف أدرس أخيراً في كلية الإعلام، أذكر أنني اتصلتُ بوالدي لأخبره بنتيجتي المشرفة الأمر الذي جعله يترك أعماله ويعود مصطحباً أمي إلى المنزل، لم أعلم حينها أن الاتصال بهما كان سيقلب حياتنا رأساً على عقب، بدأتُ مع أختي الصغيرة يارا بالتجهيز لاستقبال المباركة، وكانت جدتي تطهو لي ما لذّ

وطاب من الحلويات فرحاً بنجاحي، سمعت رنين هاتفي بعد حوالي النصف ساعة ركضت مسرعاً لألتقطه، إنه أبي يتصل بي، أجبت على الهاتف لأتفاجأ بصوت غريب يتكلم:

- أنت هادي ؟
- نعم أنا هو، من حضرتك؟
- نحن نتكلم من المستشفى، والداك في ذمة الله، حدث حادث مروع بسبب حافلة كبيرة أدت إلى وفاتهما، البقاء لله ...

في تلك اللحظة صرختُ بأعلى صوتي وسقطتُ باكياً على الأرض...

كانت تلك الحادثة التي غيّرت مجرى حياتي، اضطررتُ بعد ذلك إلى الاستغناء عن فكرة الدراسة الجامعية، وعملتُ عند نجار لديه ورشة بعيدة عن منزلنا بضع شوارع، لم يكن أمامي خيار آخر، كنت أريد ليارا أن تُكمل دراستها، بالإضافة إلى الاهتمام بجدتي، كان مدخولي يكفي بعضاً من مصروف منزلنا وكان راتب أبي الشهري يساعدنا كثيراً...

تبخّر حلمي بدراسة الإعلام، وأصبحتُ أخيراً عاملاً مبتدئاً في ورشة نجارة، لم يكن أمامي فرص كثيرة أو حتى اختيارات أضعها لحياتي، بل أن الحياة هي من اختارت مكاني كشخص على وشك الإعدام يعلم ألا عفو له البتة !

كنتُ أريد أن أرى يارا فتاة جامعية، وأحقّق من خلالها ما فشلتُ بتحقيقه لنفسي، بالإضافة إلى الاهتمام بجدتي فقد ساء حالها كثيراً بعد وفاتهم وتدهور وضعها الصحي، لذا

كان عليّ الاهتمام بالزهرتين الباقيتين في حياتي على أمل مجيء الربيع يوماً!

مرّت الأيام مرور الذبحة الخانقة في حلق المتألّم الصامت، كانت جدتي خلالها الدواء الشافي كالبلسم، مسحة مباركة ربما تشفي جروحنا النفسية كلها...

في ذلك اليوم وبعد مرور ثلاثة أشهر على وفاة والديّ وعملي في ورشة النجارة ودون أي جديد يُذكر، انتهيتُ من العمل متأخراً، وعدتُ إلى المنزل لتستقبلني جدتي وتضع يدي بين كفيها الحنونتين وتقول :

- قلقتُ عليكَ كثيراً، ما بالك قد تأخرت هكذا؟

نظرتُ لها وأنا أرى القلق في عينيها الزرقاوين، أجبتها:

- لا تقلقي يا حنونة، ضغط عمل لدى صاحب الورشة لا أكثر.
- حسنا هيا لنأكل فيارا قد انتظرتك...
- يا لها من مشاغبة أخبرتها ألا تنتظرني بعد الآن.
- ألا تعلم حبّها لك وتعلقها بك...

تناولنا طعام الغداء المعدّ بشهية وروح طيبة، حتى للطعام الذي تعدّه جدتي روح!

انتهينا وبحكم عادتي كان عليّ أن آخذ قيلولة بعد الغداء، استلقيت على سريري وما أن وضعت رأسي على الوسادة وأغمضت عينيّ حتى سمعت صوت رنين هاتفي بنغمته المعتادة.

يبدو أنه أحد ما يراسلني على (الماسنجر)، أقلق الفضول قيلولتي فالتقطت هاتفي لأتفاجأ بأنها رسالة من حبيبتي حنين، الفتاة التي كانت زميلتي في الصف والتي عشقتها وعشقتني لسنتين كاملتين، قالت :

- مرحبا، كيف الحال؟
- أهلا حنين، اشتقتُ لكِ كثيراً .
- ذلك واضحٌ جداً ! وخاصةً عندما أراسلك ولا تردّ علي وعندما أتصل بك وتغلق الخط دون أي سبب مقنع، واضحٌ جداً أنّك تشتاق لي وأنتَ لم تتصل بي من عدة أيام ولا تهتم برؤيتي، أتذكر آخر مرة التقينا منذ أسبوع أو أسبوعين بالأحرى!
- أخبرتكِ مراراً، كم أنا منشغل! صحيح أنني لا أتذكّرك ولكنني أيضاً لا أتذكّر نفسي، ومع أنني لا أهتم بكِ لكنني أيضاً لا أهتمّ بنفسي، كثيراً ما نسيتُ أن آكل وأن أشرب، لا أجد وقتاً للخروج من البيت أو محادثات الإنترنت !
- وأنا ؟
- أنتِ الآن طالبة جامعية وأنا عامل بسيط، أنتِ تبحثين عن سعادتك وعن تمضية وقتك، وأنا أبحث عن بائع الغاز وأقف لساعات في طابور الخبز، وأحسب وقتي وأموالي بدقة متناهية لأقدر على تمضية الشهر بلا ديون، ولأعيل عائلتي، الحبّ يا حنين يحتاج اهتماماً والاهتمام يحتاج وقتاً وأنا لا أملك شيئاً من ذلك، أتمنى لكِ التوفيق في حياتك وأتمنى أن تسامحيني وتحبّي شاباً أفضل مني...

- لا أعتقد أنني سأحبّ أحداً من بعدك، أرجوك اعتني بنفسك جيداً وسامحني أيضاً...

لم نتحدث بعدها ولم نتقابل أبداً، في ذلك اليوم عجزتُ عن النوم، تذكّرتُ حنين وكلية الإعلام وأبي وأمي، شاهدت سلسلة حياتي الميتة وهي تُقطع و تتبخر وبكيتُ، بكيتُ بكثرة بكاءً عظيماً .

هكذا كانت تمرّ الأيام عليّ، لا أغرقُ في النوم إلا على وسادة من الدموع...

٢

بعد سنتين أصبحتُ متمكّناً جداً في مصلحة النجارة، وتحسّنت أوضاعي الاقتصادية، ارتحتُ نفسياً وتأقلمتُ جسدياً على العمل وعلى كل مشاق الحياة التي رُميت فجأة فوق عاتقيّ، ومع ذلك فقد كانت الوحدة تؤرّقني وأحلامي البائدة تزعجني وذكرياتي المفرحة تبكيني، فكّرتُ أن أهرب من واقعي إلى واقع أفضل، فكرتُ أن أجد ملجأ ما يحتضنني ويُحقق لي أحلامي ووجدتُ ضالتي في الفيسبوك، هناك أستطيعُ أن أكذب على نفسي وعلى كل النّاس، أستطيع أن أصير إعلامياً بلحظة أو صحفياً بمقالة، هناك أستطيع أن أصبح ناجحاً وأن أدّعي الغنى، وأرجع والديّ إلى الحياة إذا رغبتُ بذلك...

أنشأتُ حساباً وهمياً على موقع الفيس بوك أسميته أنس ووضعت بعضاً من المعلومات المغلوطة عني، فادّعيت أنني درست في جامعة دمشق كلية الإعلام وأنني أعمل صحفياً لدى مجلة ما، بعدما أنهيت الحساب دخلت إليه وبدأتُ أرسل طلبات صداقة إلى كلّ من كان يظهر في القوائم أمامي وخاصة الفتيات، ثم اشتركتُ بعدد من المجموعات، ودعمتُ حسابي بمجموعة حسابات وهمية تتبع لي أيضاً وهكذا كذبتُ

الكذبة وبدأتُ بتصديقها، فأصبحتُ أنشر كل يوم صوراً لدمشق وأكتب مقالاتٍ سياسية واقتصادية واجتماعية، وأعلّق عليها من حساباتي الوهمية الأخرى حتى بات حسابي المزيف بعد فترة مليئاً بالأصدقاء والمتفاعلين والمتابعين...

في يوم من الأيام كتبتُ مقالاً طويلاً ونشرته باعتباري الصحفي أنس وهذا جزء منه :

"لم أعد أفهم شيئاً من حولي، أشعرُ أن عمري بات ستين سنة، أحنّ لكل شيء في الماضي، أشعر أنّ الحياة في هذا الزمن صارت بلا معنى، لا طعم لطعام هذه الأيام، ولا شكل لأدبها وموسيقاها، لا إبداع في أي شيء جديد، لكن المشكلة أنّ عمري الآن خمس وعشرون سنة وليس ستين، أتساءل هل ينبغي أن ألبس الأزياء العصرية التي تجعلني أبدو كمهرج؟ وأعشق الأغاني الشعبية الهابطة؟ وأقضي يومي بألعاب الموبايل؟ لأصبح من شباب هذا الجيل وأصبح عصرياً، لم أعد أفهم شيئاً، هل كبرتُ فجأة وسبقتُ العصر أم أن الحياة صارت سريعة لهذه الدرجة لتغير كلّ الأذواق والأفكار من حولي بهذه السرعة أم حقاً أنّ كلّ شيء صار تافهاً ولا معنى له؟ وكلّ ما ينتجه البشر حالياً صار خالياً من الإبداع ومفرّغاً من أي معنى ؟!"

هذا المقال حاز على الكثير من التفاعلات والتعليقات الرائعة والمميزة التي جعلتني أصدّقُ أنني صحفي حقيقي لا وهمي، وبعد حوالي ساعة وردتني رسالة على المسنجر من فتاة تدعى ماري تضع صورة مستعارة لإحدى ممثلات هوليود، كانت المرة الأولى التي تراسلني فيها فكتبت:

- لفتني مقالك كثيراً، كم تغيّرت الحياة من حولنا وكم تغيّرنا، أصبحتْ غريبة لا تمتُ بصِلةٍ عن أفكار طفولتنا وحكايات أهلنا، لكن أتعلم يا صديقي ما زال في داخل كل منّا زاوية مليئة بالحنين لتلك الأيام، لا أظن أننا سنستبدل ترانيم فيروز الصباحية بالضجة الثاقبة للأذن التي تسمى في عصرنا هذا موسيقى، لن ننسى مسرح غوار وسينما الزعيم ودراما الزير سالم، لا أجد شيئاً يعوض عن تلك الذكريات أو ينوب عنها أو حتى يذكّر بها في هذا الزمن!!
- ما أروع كلامك يا صديقتي ، حتى في الغرب الجميع يفتقد ألباتشينو ودي نيرو وحتى شارلي شابلن، التطور يفرّغ عقول الناس ويجعلهم يُعجبون بأي شيء كأفلام الرعب التافهة و(الآكشن) الغبية وأفلام نهاية العالم والزومبي!!
- فلنبكي على أطلال الإنسان الذوّاق المفكّر ولنستقبل الإنسان العصري المبرمج!!!

لقد شعرت بعد المحادثة بشعور غريب، أنّ هذه الفتاة تُشبهني كثيراً من جهةِ هذه التفاصيل الصغيرة...

أصبحتْ ماري بعدها تُعلّق على كلّ مقال أنشره وأصبحتُ أعلّق على معظم منشوراتها، نتناقش في كلّ موضوع أطرحه، وتقدّم لي بعض الموضوعات الجديرة بالنشر، كانت تقول لي دائماً أنّني صحفي عظيم جداً يجب أن يلمع اسمه في كلّ مكان، تُرشدني إلى العديد من المجلات والصحف في الخارج وفي كلّ مرة كنتُ أخلق مئات الأعذار والحجج لأتهرب من أسئلتها...

كانت فرحة الهروب من الواقع لإشباع رغباتي وتلبية أحلامي في عالم وهمي لا تُقدّر بثمن، قد تعلقت بهذا العالم الافتراضي إلى حدّ الإدمان، أصبحتُ لا أترك هاتفي المحمول أبداً، أحدّق طوال الوقت بشاشة الهاتف، أنسى تناول الطعام والنوم أحياناً حتى أصبحت نحيلاً خمولاً في الفترة الأخيرة، وأثّر عليّ الإنترنت أيضاً في العمل فكدتُ أطرد من عملي في النجارة، لكن لم يكن بوسعي أن أفعل شيء إلا أن أكون حذراً ولا أمسك الهاتف المحمول أمام معلّمي، أصبح الأمر أصعب مما أتخيل ، أن تصبح مدمن عالم وهمي! ناجح ومبدع في حياة افتراضية! أن تعشق الوهم وتمقت الواقع!

وهكذا كنتُ أبعد كل الأفكار التي تحاول الاقتراب وإفساد سعادتي التي لم أحظَ بمثلها منذ وفاة والديّ...

أما جدتي فكانت توبّخني بطريقتها اللطيفة لأنّني تغيّرت كثيراً، لم أعد أجلس معهم كالعادة، لا أسأل أختي عن دراستها، لا أصحبهم لأي مكان في الخارج، أظلّ صامتاً وشارداً وأضحك وحيداً في غرفتي أحياناً كثيرة...

أهملت الجميع حتى نفسي وأصبحت آلة للعمل في النجارة ولعملي الوهمي على الصفحة الفيسبوكية...

وأصبحتُ مؤخراً أنا وماري نتحدث كثيراً على المسنجر ندخل في موضوع ونعالج آخر، نبحث عن الحلول سويةً ونلم بكل القضايا الصالحة أن تكون مقالات مجتمعية...

مسنجر :

كتبت لي ماري :

- ما رأيك يا صديقي أن تجعل موضوعك الآتي عن أثر الإنترنت على المراهقين والشباب، وما آثاره الإيجابية والسلبية ؟ وكيف نتعامل مع المواقع الافتراضية ؟ ومن وجهة نظري يمكن أن تتحدث عن إدمانه أيضاً، إنه لموضوع شيق جداً .

كنت أقرأ هذا الكلام ولا أعتقد إنني أستطيع فعل ذلك أن أحارب عالمي الذي أحبه، أي أن أحارب نفسي، كان هذا الموضوع قد طرحته لي عدة مرات وفي كل مرة أقول لها :

- إن شاء الله، ما زال أمامي الكثير لأكتبه وأعالجه .
- أعلم أنّكَ مشغول كان الله في عونك يا أستاذ أنس.

لم أتمالك نفسي وكتبت لها :

- ما رأيكِ بأنس؟ ناديني أنس يا ماري أصبحتِ أقرب من كونكِ مجرد صديقة فيسبوكية .

أرسلت ذلك (الإيموجي) الذي يدلّ على كمية الخجل الذي تحوّل لكرات حمراء كالكرز تستقر على خديها وكتبت :

- حسناً يا أنس، يسعدني كلامك كثيراً .

كتبتُ لها والسعادة غمرتني من رأسي حتى أخمص قدمي:

- والآن نستطيع أن نتكلم بعيداً عن رموز الرسمية .

ومنذ ذلك اليوم وبعيداً عن كل شيء أصبحت علاقتي بماري تتقدم بسرعة هائلة، أصبحتْ كصديقة مقربة كانت حقيقة في عالم وهمي، ومصرّ على جعلها هكذا، ومن صديقة مقربة إلى حبيبة، كانت تلك الفكرة تراودني وتهيم وحيدة في فضاء عقلي وتختفي بين حنايا أضلعي ووراء أجمل مشاعري...

لم أجرؤ يوماً أن أصارحها بينما كنتُ أتوجّع في كل مرة تذكّرني فيها بحبيبتي حنين ويعود بي إليها الحنين...

وفي تلك الليلة بينما كانت العواصف في الطبيعة مخيفة والعواصف في قلبي مرعبة قرّرت أن أخلع معطف الخوف وأدثر غبار الحنين، أن أستل سيف الشجاعة الذي يقبع في غمد الهلع وأحارب الوهم بالحقيقة، كانت الصدمة نصف مُفرحة لأنني اعترفت لها بإعجابي، واكتملتْ عندما أخبرتني لحظتها أنّها كانت تُكنّ في أعماقها أضعاف ذلك الإعجاب، ومن هنا بدأت رحلتي العاطفية الجديدة واتفقنا مع بعضنا على موعد في حديقة وسط دمشق فكتبتُ لها:

- سأنتظرك عند مدخل الحديقة، سألبس بنطالاً أسوداً وقميصاً أبيض، وسأحمل وروداً أبيضاً أيضاً .
- حسناً، وأنا أيضاً سأرتدي سترة حمراء...

يومها قضيتُ الليل مفكّراً، وأمضيتُ الوقت متسائلاً : ماذا ستقول عندما أخبرها أنني لستُ صحفياً ؟ أنني لستُ غنياً ولا أملك سيارة كما كذبتُ عليها؟ بماذا ستنعتني ؟ وهل ستتقبل الأمر ؟ وهل ستصدّق بعد كلّ هذه الأكاذيب أنني حقاً أحبّها أم هي كذبة أخيرة؟

في اليوم التالي أخبرت معلّمي أنّني لن أذهب إلى العمل لأنني مريض جداً، كانت هذه كذبة أخرى لعلي اعتدت على مثل هذه الأكاذيب العابرة، كان كل ما أفكر به في ذلك اليوم أنّني سأغيّر من تلك العلاقة، كنت خائفا من الصدمة التي ستتلقاها بعد أن أخبرها أنني كنت كاذباً أو هل يا ترى ستقبل أن تجلس معي حتى بعدها؟

أسئلة كثيرة كانت دون جواب إلى أن اقترب الموعد ارتديت ملابساً أنيقة كنت قد اشتريتها منذ بضعة أيام، سرّحت شعري ووقفت طويلاً أمام مرآتي تأكدت فيها أنني على أتم الجاهزية لتلك الخطوة، ثم هرولتُ إلى الحديقة، وقفتُ عند المدخل منتظراً، وبعد بضع لحظات رأيتُ العجب، حيث رأيتُ حنين تقترب ثم دخلت إلى الحديقة، عندما شاهدتني واقفاً انصدمت بشدة وشهقت بقوة وقالت :

- هادي، ما هذه الصدفة الجميلة ؟
- أهلاً يا حنين، يا لها من صدفة رائعة، كيف أحوالك؟
- بخير الحمد لله، اشتقتُ لكَ .
- وأنا أيضاً، ما زلتُ أذكرك جيداً وأذكر أيامنا الجميلة، ماذا تفعلين هنا ؟
- إنّي أنتظر صديقاً لي، حسناً أراكَ بخير يا صديقي العزيز .
- انتبهي إلى نفسك، سعيدٌ جداً أنني رأيتك .
- وأنا كذلك، الوداع ...

مشت حنين بضع خطوات بطيئة ثم عاودت الالتفات إلي وقالت بدهشة :

- ولكن، أليس غريباً أنّك تلبس سروالاً أسوداً وقميصاً أبيضاً وهذه الباقة من الورد أيضاً ؟!

فقلتُ وقد تفاجأتُ بدوري :

- بل الغريب هو سترتك الحمراء !!
- أنس ؟
- ماري ؟
- ما تفسير ذلك ؟ هل كنت تترصّدني وتكذب علي؟
- وكيف أترصدك أو أقصدك وأنتِ تضعين اسماً غير اسمك وصورة غير صورتك؟
- ألا تتذكّر كم أحبّ اسم ماري؟ أخبرتك أنني أتمناه اسماً لي بدل حنين ؟

فضحكت بودّ وقلت :

- وأنا كذلك، ألم أخبرك مراراً برغبتي أن أكون صحفياً؟ ألم أخبرك بشغفي بالإعلام؟
- وأخبرتني أيضاً عن أهلك، قلتَ أن والدك يعاملك كصديقه وأمك تحنو عليكَ كطفل مع أنّهم متوفون؟ هل كنتَ تبنى عالماً كاملاً تحبّه عبر الفيس بوك ؟
- نعم، هذا صحيح، وأنتِ أيضاً أخبرتني قصصاً عن أختك وجلساتكم المطوّلة مع أنّها مسافرة منذ سنين؟!

ضحكت حنين ضحكتها التي تسرق القلب وقالت :

- يا لها من صدفة مجنونة !
- اشتقتُ إليكِ كثيراً يا ماري الجميلة .

- وأنا أحبك حباً جماً حتى ولم تكن صحفياً يا عزيزي هادي...

وهكذا عدنا إلى حبنا الماضي مجدداً، وتعلّمتُ درساً في الحياة مفاده أن للتكنولوجيا مضار وفوائد، صحيح أنّ سائق الحافلة التي صدمت والداي كان منشغلاً بهاتفه المحمول مما أدى للحادث، لكن التكنولوجيا أيضاً هي من أعادت لي حبّ حياتي بمحض الصدفة البحتة...

الفصل الخامس :

1

كتابة :

حسان بدور

كانت تلك بعض القصص التي قرأتها، والتي سُجّلت منذ مئة عام عندما كانت جدتي تحضّر لرسالة الدكتوراة الخاصة بها فالتقت مع أشخاص عانوا من الإنترنت وعاشوا قصص الحب والأسى من خلاله، أما الآن فنحن نعيش في عام 2120 ، وفي الحقيقة كنت أبكي وأنا أستمع للقصص المذكورة فقد أيقظت في داخلي ذكريات مؤثرة وأرجعتني لأيام البساطة !

أشتاق للحواسيب والهواتف المحمولة وللشاشات وللسيارات، أشتاق لكل الأشياء المادية التي اختفت فجأة بعد أن سيطر الليزر على كل شيء، يكفي الآن أن أنظر إلى أي جدار أريده وأقول " شاشة " فترتسم أمامي شاشة من الليزر، ثم أنطق بعدها اسم القناة التي أريدها أو الموقع الإلكتروني فيظهر مباشرة أمامي و حتى إن كان ذلك عظيماً إلا أنه بلا نكهة وبلا طعم، الآن يكفي أن أنظر إلى الفراغ وأقول : «شاشة موبايل هوائية»، لترتسم أمامي في الهواء فأتحكم

بها صوتياً أو عبر حركات من يديّ في الهواء وإن كان ذلك هائل التطور ولكنه بلا نكهة ولا طعم .

اليوم أصل إلى وجهتي مهما كانت بعيدة بثوانٍ قليلة عبر الطائرات الشخصية التي غزت الكون ودقّت آخر المسامير في نعش شركات السيارات، ومع أن للطيران جماليته الخاصة لكن السرعة الحالية تُفقد كل شيء جماله ورونقه، هل تصدّقون أنني أحنّ للسيارة وأشتاق لأن أقودها لعدة ساعات متواصلة وأنا أستمع للأغاني ، أراقب الطريق وأتناول الوجبات السريعة، أما الآن فقد انتهى كلّ شيء بطيء و أصبحت السرعة الهائلة أساساً وسمةً لهذا العصر، هل تصدّقون أنني أشتاق للإنترنت البطيء وللتحميل عبره ؟ أشعر أن بعض الأشياء تغدو أجملَ عندما لا نحصل عليها ببساطة !

منذ عدة أيام زارني أحد الأصدقاء وضحك حد البكاء عندما رآني أتابع شاشة التلفاز التقليدية، وسخر مني بشدة حين أخبرته عن شوقي لسيارتي ولموبايلي ولكل الأشياء المادية التي تُلمس، عن حنيني لأن أضيع جهاز التحكم بالشاشة أو لأن أنسى موبايلي في مكان ما وأبحث عنه بلهفة ، فنعتني بالمتخلف الجاحد...

ولا بدّ أن أحدّثكم عن البلادة البشرية الحالية، لقد توقف البشر عن إعمال عقولهم واستخدام أجسادهم، إلى درجة أنك إذا قلْتَ لأحدهم أنّكَ مهتمّ بتعلم اللغات أو المعادلات الرياضية أو حتى حفظ الشعر ستثير موجة من الاستغراب

والضحك لديه ، فنحن الآن نعيش في عصر العدسات الذكية والسماعات الذكية اللامرئية أيضاً، إذا قرأتَ كلمة أجنبية فستُظهر لك العدسات مباشرة ترجمة آلية لها، وكذلك إذا سمعتَ أي كلمة من أي لغة كانت فستترجم تلقائياً عبر السماعات الذكية، ولا شكّ أن هذه الاختراعات العصرية أسرع من ذاكرة الإنسان بآلاف المرات، ولماذا يتذكر الإنسان اليوم القصائد أو المعادلات أو المعلومات العامة التي تخص أي شيء كان وهو يستطيع ببساطة أن يسأل ذاكرته الصناعية الذكية ويحصل على جوابه بعد أجزاءٍ من الثانية **!؟**

أما عن أجسادنا فأتساءل لماذا سنستخدمها والروبوتات الذكية غزت كلّ شيء وكل مكان، لقد أصبحَتْ أمهر من الإنسان بآلاف المرات فالمرء قد يخطئ بمقادير طبخة ما، قد يزيد من الملح أو يقلل، أما الروبوت فلا يُخطئ ولا ينسى، الروبوت اليوم يملك ذكاءً عالياً جداً ويُنفّذ المهام الموكلة إليه بكل إتقان وبلا ملل أو تعب .

كان اختراع الروبوتات القادرة على التعلم الذاتي وتطوير نفسها والتكيّف مع الظروف أمراً بالغ الأهمية في تغيير العالم، البارحة مثلاً دخلتُ إلى البيت فاستقبلني الروبوت يوماريتو بابتسامته الصناعية وقال لي :

- لقد عرفتُ أنّك سترجع الآن فحضّرت لك الكابتشينو الذي تفضّله وتطلبه مني يومياً عند عودتك مساءً **!**

كانت هذه الميزة التي أدخلتها مؤخراً على الروبوت المنزلي الذي أملكه، وهي ميزة الاهتمام برغبات البشري وتوقعها مسبقاً !!

ولكنّي في الحقيقة أفضّل أن تكون لي حبيبة بشرية تعيش معي، وتحضّر لي الكابتشينو، وتنسى الملح على الطعام، وتهتم بي وتنتظرني، لكنني الآن إذا طلبت من فتاة الدخول للعمل في المطبخ أو التنظيف فكأنني شتمتها وأهنتها بشدة ...

أعتقد أننا في هذا العصر فقدنا طبيعتنا البشرية وبدّلنا فطرتنا، إننا لا نفكّر بأي شيء إلا بالألعاب الإلكترونية بالتسلية وبالمرح، لقد فقدت الأغاني اليوم كل طابع وشكل للإبداع، والأفلام صارت تهتم بالمشاهد القتالية والحماس والإثارة فقط، لقد فُرّغ الفن من محتواه، أما عن الأدب فلم يبقَ أدب يستحق الذكر...

- هل سمعتَ آخر الأخبار ؟ لقد تمت إحالة الملائكة للتقاعد واستغنى الله أخيراً عن خدماتهم !
- ما هذا الكلام ؟ لماذا ؟ هل تمّ اكتشاف اختلاسٍ ما أو أنّها تشكيلة وزارية جديدة ؟
- لا، لا الملائكة يحتفظون بمناصبهم أكثر من الوزراء العرب ! ولكن الحقيقة أنّ الملائكة في هذه الأيام لا تجد ذنوباً للبشر كي تسجّلها، إنّهم يراقبوننا فقط ونحن نعمل على الإنترنت ونعيش حياتنا في الواقع الافتراضي .
- لا ليس هذا هو السبب، بل السبب أن الملائكة عندما شاهدوا الراوتر ظنّوا أنّ البشر يضعون تماثيلاً للشياطين في بيوتهم، وعندما شاهدوا الروبوتات المنزلية ذات القرون ظنّوا أنّ البشر يعيشون مع الشياطين فصاروا يسجلون الذنوب ويرفعون التقارير الغاضبة إلى السماء وعندها استغنى الله عن خدماتهم...

كان هذا الحوار مقطعاً بسيطاً من أحد أشهر البرامج الساخرة حول العالم والذي يسخر من البشر والأديان والعصر، ويدّعي أنّ الدين أمر قديم جداً والمبادئ مثاليات زائفة والتاريخ أسطورة بشرية ...

البرامج الساخرة غزت المواقع الإلكترونية والمحطات، صار الناس يسخرون من كل شيء ويرفضون كلّ المسلّمات، وأحسّ البشر بقوتهم وتطورهم الهائل فتجبّروا وتكبّروا وتساوى في عينهم كلّ شيء .

أما عن الواقع الافتراضي فذلك أمر مختلف تماماً، حيث بدأت الفكرة مع طبيب هندي كان يبحث عن علاج للاكتئاب عند البشر ووجد أن نظارة ال D3 قد تفي بالغرض، فاكتشف الطبيب أن العقل البشري يعجز عن التفريق بين الواقع والخيال، ودليل ذلك الأحلام التي نراها عند النوم والتي تؤثر على العقل فتجعله يفرز إفرازاته نفسها التي يفرزها في حالات الواقع، إذ أن العقل يُصدّق الأحلام ويتأثر بها ويعيش معها دون الاكتراث بالجسد النائم..

إذاً طوّر الطبيب النظارة المذكورة وجعل المكتئبين يعيشون في عالم يتمنونه أياً يكن، وصارت عقولهم تتعايش مع ما تراه وتفرز أنزيمات السعادة وتحسّن مزاجهم بطريقة مذهلة، وسرعان ما بدأت الشركات تحوّل هذه النظارة لتجارة عظيمة فاليوم تستطيع أن تشتريها وتعيش ساعات في المكان الذي تريده، هل تريد أن تكونَ نجماً سينمائياً، مطرباً محبوباً، لاعباً مشهوراً ؟

صار الأمر بسيطاً للغاية البس النظارة واختر ما تريده، حتى لو انتقيت أن تلعب كرة القدم مع ريال مدريد فستجد ذلك وستلعب في دوري الأبطال وتسجل هدفاً في آخر الثواني لتحتفل مع أشهر اللاعبين في العالم بل وتكون نجم الفريق الأول، ماذا تريد أيضاً؟ هل تفكر بالعيش مع أنجلينا جولي وإعادتها إلى الحياة أو النوم بجانب مونيكا بيلوتشي وهي بعمر العشرين ؟ هل تشتاق لوالدك المتوفى أو تحنّ لطفولتك؟ لا مشكلة كل ذلك متوفر الآن وقابل للتحقق .

إذاً ساعدت هذه النظارات في السعادة البشرية وقلّلَت من الإجرام أيضاً لأنك قادر على ممارسة الإجرام الافتراضي وقتل من تكرهه ألف مرة يومياً !

إننا في الواقع مجرد هرمونات ليس أكثر، مخلوقات تنشد السعادة بأي شكل كان !

وسرعان ما بدأت هذه النظارات تهدد البشر فقد أدمن الناس عليها ونسوا أن يعيشوا في الواقع حتى صارت تلك النظارات واقعهم المفرح والرائع، ولأن الإثارة التي يتعرض لها الإنسان أثناء ساعات قليلة من الواقع الافتراضي كبيرة جداً وتعادل حياةً كاملة لمشهور أو قاتل متسلسل أو لاعب كرة قدم، صارت تلك النظارات تقلل من حياة البشر وتجعلهم عرضة للجلطات المفاجئة.

فَ هذه آخر أخبارنا في هذا العصر نقلتها لكم بكل أمانة، أعتقد أننا حوّلنا أنفسنا لمجرد أشباح أو أصنام على هيئة بشر .

٣

استيقظت في وقت مبكر عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، وجلست في سريري ورحت أتذكر مناماً غريباً راودني في الليل، رأيتُ في المنام أمراً أغرب من الخيال حيث كانت نملة تلعب كرة القدم بأقدامها النحيلة وكانت كرة القدم هي الأرض، وكانت النملة ماهرة جداً تقلب الأرض من يديها إلى أقدامها ثم تنطحها برأسها مرات متتالية، والأمر العجيب الذي لم أستطع فهمه كيف كانت نملة صغيرة لهذه الدرجة تلعب بكرة أكبر منها حجماً بآلاف المرات، والأهم من ذلك كلّه ماذا يعنيه منام كهذا وما تفسيره ؟

ضحكتُ بصوتٍ عالٍ وأنا أتذكره ولاحظت أن الروبوت يوماريتو ينظر إلي باستغراب وكأنه يقول في نفسه :

- جُنّ البشري !

فتوقفت عن القهقهة وقلت له :

- اذهب وحضّر الإفطار يا يوماريتو .

فأعطى انطباعاً بعدم الاكتراث وقال :

- الإفطار جاهز وينتظرك !

وعندها رنّ هاتفي اللامرئي وكان المتصل صديقي مايك الذي قال :

- صباح الخير يا عمار.
- أهلا صباح الورد .
- أخبرني هل حلمتَ أيضاً بذلك المنام ؟

فقلت مندهشاً :

- أيّ منام ؟
- النملة والكرة الأرضية ؟!
- نعم نملة بمهارة ميسي تتلاعب بالكرة الأرضية !

ولكن هل يُعقل ذلك ؟ كيف شاهدنا نفس المنام أنا وأنت؟

- ليس أنا وأنت فقط، بل كلّ من كان على وجه الأرض حلم بنفس المنام !!
- ماذا تقول ؟ هذا جنون !
- يقولون أنّه التواصل الإلهي الأول مع البشر جميعاً، وأن ما شاهدناه كان تهديداً مباشراً وصريحاً لكل بني البشر.
- أكاد أجن مما أسمعه !
- الناس تشعر بالهلع الشديد، بعضهم اعتكف في المنازل وبعضهم لا يتوقف عن التفكير والتحدث عن الأمر، اليوم بالتحديد علَت أصوات المتدينين وضجّت الأرض بأصوات المساجد والكنائس، ومطالبات عديدة بإيقاف كل البرامج الساخرة وقنوات البورنو ونظارات العالم الافتراضي والتوقف عن استفزاز السماء، احذر جيداً يا صديقي فالفوضى ستدب قريباً في كل مكان ...

مرّ أسبوع هادئ بعد تلك الرسالة السماوية وكثرت التحليلات والتخمينات فخاف بعض الناس وسخر بعضهم

وظنّ بعضهم أنّه اختراع بشري جديد، وبعدها بدأ المنام يُفسَّر حيث صارت الناس في الشوارع تتساقط وتموت بشكل مفاجئ ولسبب مجهول فهلع الجميع وخافوا، وتوقّفوا عن مغادرة بيوتهم بعد أن مات آلاف البشر في الشوارع بشتى بقاع العالم، وتبيّن أخيراً بعد الكثير من الفحوصات والإجراءات الاحترازية أنه فايروس جديد يجتاح البشر ينتقل عبر الهواء، ويقتل الناس بعد ساعات قليلة من توغله في أجسادهم، وهكذا قام الناس بحجر صحي كامل، مُنع التجول في كل دول العالم، وصارت وسائل الإعلام تتذكّر عام 2020 أي قبل مئة عام، وتتحدث عنه بكثير من الجزع فقد كان عام الأوبئة والزلازل والحروب وكان عاماً مليئاً بالموت والفوضى!!

مضت أشهر طويلة وقاسية، وصار الفايروس يهدد البشرية ويتربص ببني آدم، فانعزلت الناس عن بعضها وعاش البشر أشهراً في البيوت يراقبون المآسي والآلام ويدعون الله أن يلهمهم بلقاح أو علاج للفايروس وعلى رأي المثل الإيطالي الذي قيل قبل مئة عام : " انتهت حلول الأرض الأمر متروك للسماء " .

أمضيتُ الشهر الأول وحيداً مع يوماريتو أعزف وأغني وأقرأ، وفي الشهر الثاني تابعت أفضل أفلام السينما العالمية على مرّ التاريخ، وفي الشهر الثالث تعلّمتُ اللغة الفرنسية، وفي الشهر الرابع ضقت ذرعاً بكل شيء فالوحدة أثّرت عليّ وجعلتني كئيباً جداً، اشتقتُ للطيران وللسهرات وللأصدقاء وللعمل ولكل شيء خارج حدود المنزل فصرت أقضي يومي وأنا نائم أو أصرخ على يوماريتو بلا أي سبب يذكر، وفي الشهر الخامس تغيّر كلّ شيءٍ تقريباً عندما وردني اتصال هاتفي من فتاة تُدعى سيلينا، اتصلت بي سيلينا بالغلط وكانت تطلب صديقاً لها، ومن شدة مللي وكآبتي صرت أدردش معها فقد اشتقت لصوت البشر لضحكاتهم وتفاعلاتهم وقلت لها:

- للأسف الرقم خاطئ، أنا عمار ولستُ صديقك مارك !
- حسناً، أعتذر منك سيد عمار !

- انتظري، لا تغلقي أرجوكِ، تحدّثي معي قليلاً فقد ضجرت روحي واشتقت لبني البشر !
- حسناً، ولم لا ؟ دعنا نتعارف، أنا سيلينا أعمل في صيدلية في دمشق وأنت ؟
- عمار، أعمل مهندس إلكترون، وأعيش في دمشق أيضاً، سعيدٌ جداً لأنني أتحدّث معك وأكسر قليلاً من الروتين القاتل...

وهكذا بدأت حكاية حبّي مع سيلينا فصرنا نتصل ببعضنا يومياً وندردش لساعات مطولة فنسيتُ مللي وغابت عني كآبتي ودقّ الحبّ بابي .

واتساب : الساعة 14 :

- كيف حالك يا عزيزتي سيلينا ؟
- أهلاً أهلاً بصديقي الجديد، كنتُ أتصفّح صفحتك الشخصية ووجدت أننا متقاربان جداً بالأفكار، كنتُ أبحث عن صديق يشاركني اهتماماتي منذ زمن .
- أشكرك يا سيلينا، ولكن أيّ أفكار واهتمامات تقصدين؟؟
- كلّ شيء تقريباً، أنا أيضاً أشتاق للسيارة والموبايل، أتقن لغتين أجنبيتين وأكره استعمال العدسة والسماعة الذكية، أنا أيضاً أمقت الواقع الافتراضي ولا أقدر على احتماله أكثر من خمس دقائق في اليوم .
- ما أسمعه منك هو غاية أمنياتي وأوج سعادتي.
- يا صديقي أشكرك لأنك ما زلت إنساناً تحافظ على القيم وتُعمل عقلك وتُحرك جسدك وتتذكر روحك، إنني مثلك أكره تخلي الناس عن الدّين والقيم، أنا فتاة أبتعد عن

التعري بعكسهن جميعاً وينعتونني دائماً بالمتخلفة كما ينعتوك تماماً !!!

فضحكتُ وأرسلت لها تعبيراً رمزياً ضاحكاً وأخبرتها أنني لطالما بحثتُ عنها، وقلت لها كم أن صوتها جميل ولهجتها راقية وتفكيرها عظيم وإنسانيتها مذهلة وصار قلبي يدقّ بشدة.

مرّت أربعة أشهر بدون أي مشكلة تذكر بيني وبين سيلينا الغالية فكان التفاهم مطلقاً والودّ عظيماً، ومع أنّها رفضت أن تتحدث معي عبر مكالمة فيديو لكنني قدّرتُ موقفها واحترمتُ أفكارها المتحجرة أكثر من أفكاري، واكتفينا في تلك الأشهر بتبادل الصور الشخصية والمكالمات الصوتية ونحن ننتظر بفارغ الصبر انتهاء الوباء لنجلس سوية ونتبادل أطراف الحديث ونعلن حبّنا وجهاً لوجه .

بعدها قلّت أعداد المتوفين بالوباء وتمّ اكتشاف عقار يخفف من حدة الألم ويمنع الموت السريع بالمرض، ولذلك فُكّ الحظر جزئياً و أصبحت الناس تُمارس عملها بحذر وتتجوّل في الشوارع وهي تلبس الكمامات...

اتفقتُ فترتها مع سيلينا على اللقاء وكنتُ متلهّفاً لرؤيتها بشدة، وفي اليوم الموعود وقبل أن أصل إلى المقهى للقائها وصلتني رسالة منها :

- أنا في المقهى انتظرك، لقد تأخرت على الموعد دقيقتين و32 ثانية !!

ضحكتُ من هذه الرسالة وظننتها تمازحني فرددتُ عليها :

- لا بأس أعتذر على التأخير، سأصل إليكِ بعد دقيقة وخمس ثوانٍ !

وبالفعل وصلتُ إلى المقهى بعد ثوانٍ قليلة واستغربت بشدة أن المقهى الصغير كان خالياً من الزبائن تماماً ،فجلستُ على إحدى الكراسي مستغرباً وهممتُ بالاتصال بها، وفجأة اقترب مني روبوت متطور يملك قروناً وقال لي :

- لقد تأخّرت لمدة أربع دقائق وست عشرة ثانية !!

فنظرت باستغراب له وقلتُ وأنا أشاور بيدي :

- ولكن من أنت ؟ وكيف تعرف ذلك ؟
- أنا سيلينا يا سيدي، أنا صديق يوماريتو اسمي هو جانكورينو وقد اتصل بي يومار منذ عدة أشهر وأخبرني أنّك تعاني من كآبة شديدة وملل صارخ فتظل غاضباً ومتوتراً وذلك يؤذي صحتك، فطلب مني أن أحدّثك بصوتٍ جميلٍ لفتاة بشرية، وأن أرسل لكَ صوراً لفتاة غاية في الجمال وأدّعي أنها لسيلينا، وأظهر لك مشاركتي لأفكارك وشغفي باهتماماتك كي تفكّر بالحبّ وتنسى الملل والكآبة !!!!

عندها احمر وجهي بشدة، وتملّكني الغضب فتحوّلتُ لشخص مجنون يرتعشُ بشدة ووقفت بذهول وأنا أتنفس بسرعة وسخط، فاستشعر الروبوت جانكورينو غضبي وصار يتراجع ببطءٍ ويقول محاولاً تهدئتي :

- إنّه يومار يا سيدي، إنها فكرته !!!

فأمسكتُ بصحن على الطاولة وكسرته فوق رأس الروبوت الذي تعطّل فوراً وصار يظهر على شاشته كتابة كلمة Error

.

غادرتُ المقهى غاضباً ومخذولاً بشدة بينما كان جانكورينو يقول بشكلٍ متتالٍ لانهائي :

- إنّه يومار يا سيدي إنّها فكرته، إنّه يومار يا سيدي إنّها فكرته ، إنّه يومار.....